اللسانيات العامة وقضايا العربية

تأليف: مصطفى حركات



المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

اللسانيات العامة
وقضايا العربية

تأليف

مصطفى حركات

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار النموذجية المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب ١١/٨٣٥٥ - تلفاكس ٠٠٩٦١١٦٥٥٠١٥

صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٠٠٩٦١٧٧٢٠٣١٧

المقدمة

إن ما ينشر حالياً من الدراسات اللسانية الحديثة في العالم العربي، على صنفين:

١ ـ صنف يهدف إلى التعريف باللسانيات العامة، وذلك من خلال ترجمات أو اقتباسات لمؤلفات غربية، وهذا النوع يكاد يخلو من الأمثلة الخاصة باللغة العربية.

٢ ـ صنف يدرس قضايا لسانية دقيقة مطبقة على العربية، في ضوء مدرسة من المدارس الحديثة، وهو عبارة عموماً على أطروحات جامعية لا تهم إلا بعض المتخصصين الذين يمارسون الأدوات المنهجية والنظرية لهذه المدارس.

وفي الحالتين فإن القارىء العربي سواء كان طالباً أو مدرساً للغة، لا يستفيد استفادة حقيقية منها، والدليل على ذلك أنه دائم التمسك بالتحليل اللغوي القديم المتمثل في النحو والصرف.

والمربي الذي يطمح إلى تجديد تدريس اللغة العربية لا يلقى أي بحوث تساعده في عمله، وإن حاول باجتهاد خاص أن يحدث هذا التجديد فإنه يتعرض للخطإ أكثر مما يصادف الصواب.

هذا العمل لا يهدف إلى تغيير النحو العربي، ولا يطمح إلى حل قضايا لغتنا، وإنما أردنا من خلال المفاهيم اللسانية العامة أن:

- نصحح بعض الأخطاء المنهجية.
- نطرح بعض القضايا الخاصة بلغتنا على وجهها الحقيقي.

والله ولي التوفيق

المؤلف

١	مفاهيم عامة حول اللغة

١ ـ اللغة واللسان (langue et langage)

هناك مفهوم واسع **للغة** ومفهوم ضيق. فالمفهوم الواسع ينطبق على **نظام من الإشارات** وظيفته الأساسية **التواصل**. فتقول لغة إشارات المرور، ولغة الزهور، ولغة القوة إلخ، وتترجم كلمة لغة هنا في الفرنسية بـ (langage).

أما المعنى الضيق فهو الذي نستعمله لما نتكلم عن **لَسْنِ** قوم ما، فنقول: اللغة العربية واللغة السويدية واللغة الألمانية، ومقابله الفرنسي هو (langue).

وبين المعنى الواسع والضيق، يشير اللسانيون إلى القدرة الخاصة بالبشر للتواصل بواسطة الأصوات وهو ما يسمونه **باللسان البشري**، ولكنهم يتناسون في جل الأحيان النعت ويستعملون فقط كلمة (langage) للدلالة على المفهوم المجرد للغة.

أما الإعلاميون فإنهم يستعملون كلمة (langage) للدلالة على نظام للبرمجة والتشغيل مثل: البازيك (BASIC) والباسكال (PASCAL) والفورتران (FORTRAN).

بأنه مجموعة الكلمات التي تنتج بواسطة قواعد تعويضية مطبقة على أبجدية معينة.

ويمكن استعمال الترجمة الآتية: لغة langue ولسان:

langage. ولكن هذا الاختيار يفرض علينا أن نتقبل الاستعمالات الآتية: لسان الزهور، لسان القوة، لسان الحاسوب إلخ... وهو غير شائع.

وبإمكاننا أن نعكس الاختيار فنستعمل الترجمة: لسان: langue ولغة: langage، وفي هذه الحالة يلزمنا أن نقول: اللسان الإنجليزي والإيطالي بدلاً من اللغة الإنجليزية واللغة الإيطالية وهو نفي لما هو شائع.

وأمام هذه الصعوبات فمن الوجيه أن نستعمل فقط، عندما لا يقع اللبس، مصطلح اللغة للدلالة على مفهوميها الواسع (langage) والضيق (langue)، وهو اختيار ليست له أي سلبيات.

فعندما نتكلم عن مستويات اللغة ووظائف اللغة فمن الظاهر أننا لا نقصد لغة معينة وإنما اللغة كمفهوم مجرد أي le langage.

ومشكلة ترجمة الثنائية (langue, langage) لا تخص العربية وحدها، فكثير من اللغات، ومن بينها الإنجليزية والألمانية والإيطالية، قد لقيت صعوبات في اختيار الألفاظ المناسبة للتعبير عن هذين المفهومين (هذه الصعوبات ليست ناتجة عن افتقار اللغات للمفردات ولكنها آتية من عدم تطابق الاختيارات مع الاستعمالات الشائعة).

٢ ـ اللغة والكلام (langue et parole)

اللغة منظومة اجتماعية، ولكنها تتجسد في إنتاجات فردية لولاها لما كانت اللغة حية، هذه الإنتاجات قد تأخذ أشكالاً مختلفة: خطاب، درس، رسالة، قصيدة، شعر، رواية، مَثَل...

هذه الإنتاجات الفردية تسمى «**كلاماً**»، ولا يشترط في الكلام أن يكون منطوقاً، فهو قد يأخذ الشكل المكتوب بأي طريقة من الطرائق (كتابة عادية، كتابة صوتية، كتابة بلغة «المورس». . .) أو أي شكل آخر كأن يعبر عن الكلمات بواسطة إشارات.

ويتقابل الكلام مع اللغة من زوايا مختلفة.

- الكلام فردي واللغة جماعية.

- الكلام مبني على الحرية في التعبير والخلق، واللغة ثابتة لا يمكن للفرد أن يغير بمشيئته حروفها أو مفرداتها أو قواعدها التركيبية.

- الكلام محسوس واللغة مجردة.

- الكلام رسالة (message) واللغة نظام أو دليل (code).

٣ ـ الدليل اللغوي

ما يميز اللغة عن غيرها من الأنظمة هو ارتباطها بالمعنى، فنحن لا نتكلم لتأدية وظيفة مرتبطة بالجسد كالتنفس، والأكل، وإنما نتكلم لأننا نفكر، ونشعر، ونجسد هذا التفكير وهذا الشعور بواسطة الكلمات، ونبلغه للغير، ولا عجب إذن أن تكون الوحدات الأساسية للغة مقرونة بمعانٍ ترافقها. كل وحدة من هذه الوحدات تسمى «**دليلاً**» أو «إشارة لغوية».

تعريف: **الدليل اللغوي** (أو الإشارة اللغوية) le signe linguistique هو وحدة مكونة من شكل يسمى **الدال** ومعنى يسمى **المدلول**.

توضيح: الدال هو الصورة الصوتية للدليل، ويأخذ شكل

سلسلة من الأصوات مثل: «بقرة».

خاصية الدليل الأساسية الدليل **اعتباطي**، وهذا يعني أن تكوين شكله لا يخضع لقواعد تركيبية تُمكّن من تحديده انطلاقاً من معناه، «فالحيوان الأليف الذي يأكل العشب ويعطينا لبنه»، لم يسمه العرب «بقرة» إلا اصطلاحاً فالفرنسيون سموه «فاش» (vache) مستعملين فاء مجهورة وفتحة وحرف الشين، والإنجليزيون سموه «cow»، ولا علاقة البتة بين هذه الأشكال والمدلول الذي هو واحد في هذه اللغات.

نتيجة لما سبق فإن الانتقال من المستوى الصوتي إلى المستوى الصرفي أو الإفرادي (مستوى الكلمات) لا يتم وفق قواعد محددة، أي أننا لا نملك أي نحو يحدد تركيب الكلمات (التي هي إذن من المعطيات المعجمية)، بينما تتكون الجمل انطلاقاً من الكلمات وفق قواعد يحاول النحويون وضعها وتبسيطها.

٤ ـ الدليل ومستويات بنية اللغة (les niveaux de structure)

هل كل وحدات اللغة لها صفة الدليل أو الإشارة اللغوية؟

الجواب على هذا السؤال هو: لا. لأن الوحدات الصغرى التي هي الأصوات أو الفونيمات لا تحمل معنى فهي ليست إذن بالإشارات اللغوية، وهناك المقاطع اللغوية (les syllabes) التي هي أيضاً عديمة الدلالة، ولا تدخل في صنف الإشارات اللغوية. وإذا أردنا أن نحدد أنواع الوحدات اللغوية فإنه بإمكاننا أن نصنفها حسب الطريقة التي بني عليها النظام اللغوي.

اللغة نظام ذو مستويات (niveaux)، والمقصود **بالمستوى** هو

مجموعة من الوحدات إذا ركبت في بعضها عن طريق الإضافة تعطينا وحدات من المستوى الأعلى. فمثلاً في: **ضرب** زيد **عمرا**.

هناك مستوى الأصوات المكون من الحروف، والحركات، وعناصر المد، والتضعيف، والنبر، إلخ...

بإضافة الفتحة إلى الضاد، ثم الراء إليهما، ثم الفتحة ثم الباء ثم الفتحة، نتحصل على: (ضرب) التي هي عنصر من مستوى ثان، هو مستوى الكلمات.

وبإضافة (زيد) إلى (ضرب) ثم (عمرا) إليهما، نتحصل على عنصر من مستوى ثالث وهو مستوى الجملة.

هذا، بكثير من التبسيط، ويظهر لنا من خلال المثال السابق أن لدينا ثلاثة مستويات:

١ ـ **مستوى أول (المستوى الصوتي)**: عناصره لا تحمل دلالة وليست هي إذن بالأدلة.

٢ ـ **مستوى ثان (المستوى التصريفي)**: عناصره تحمل دلالة (ضرب، زيد، عمر) وهي إذن أدلة.

٣ ـ **مستوى ثالث (مستوى الجمل)**: عناصره تحمل أيضاً دلالة، ويمكن اعتبارها أدلة، ولكن معظم اللسانيين يفضلون تخصيص كلمة الدليل اللغوي إلى المرفيم أي الوحدة الصرفية الصغرى.

٥ ـ التركيب الثنائي للغة (la double articulation)

يعتقد مارتيني (Martinet) وأصحاب المدرسة الوظيفية أن ما يميز اللسان البشري عن باقي أنظمة التواصل هو أنه مركب بطريقة ثنائية.

أ ـ ففي أعلى مستوى، النص مركب من وحدات ذات دلالة (جمل، شبه جمل، كلمات. . .) وأصغر هذه الوحدات تسمى **مونيمات** (monèmes).

ب ـــ وفي المستوى الثاني فإن كل مونيم مركب من ناحية شكله إلى وحدات خالية من المعنى، أصغر هذه الوحدات هي **الفونيمات** (phonèmes).

وهذا التركيب الثنائي للغة يجعلها اقتصادية للغاية: فبواسطة وحدات معدودة (الحروف والحركات) تستطيع كل لغة إنشاء آلاف الكلمات، وبواسطتها عدداً لا منتهياً من الجمل.

٦ ـ وظيفة التواصل (la fonction de communication)

وظائف اللغة (les fonctions du langage) هي الأغراض التي يحملها الخطاب عند إنتاجه وقد درستها بإطناب «مدرسة براڤ»، وأهم هذه الوظائف هي وظيفة **التواصل**. وذلك لأن اللغة تعتبر أساساً كأداة لنقل المعلومات.

كل لغة تستعمل وحدات صغرى هي الأصوات التي تملك خصائص فيزيائية بعضها ذو طابع وظيفي (fonctionnel) أو **تمييزي** (distinctif) أي أن ورودها أو عدم ورودها يغير من طبيعة الخطاب، ففي:

تاب قلب محمد	،	طاب قلب محمد
سال خيره	،	زال خيره

التفخيم ينقل التاء إلى الطاء فيتغير معنى الجملة والجهر ينقل السين إلى الزاي فيتغير أيضاً المعنى. وهذا يجعلنا نقول بأن التفخيم

وظيفي أو تمييزي في (الطاء)، والجهر وظيفي في (الزاي).

فكل علم الفونولوجيا مبني على آليات وتحاليل ترتكز على العنصر التمييزي أي على الوظيفة التبليغية للغة.

وإلى جانب الفونولوجيا فإن الصرف والنحو وعلم الدلالة مواد تعطي الأولوية لهذه الوظيفة وتعرف وحداتها وتراكيبها بناء على حصول أو عدم حصول التواصل، وعلى توافق أو اختلاف المعلومات المنقولة.

٧ ـ مفهوم اللسانيات

تعرف اللسانيات عادة بأنها «**الدراسة العلمية للسان**» ولكن هذا التعريف عام جداً، ولا يحدد اتجاه هذه الدراسة، ونوعها، واهتماماتها ـ فهل كل ما يدرس، بطريقة علمية، جانباً من جوانب ما ينتجه البشر من كلام، يعد جزءاً من اللسانيات؟

الجواب عن هذا التساؤل هو: لا، فاللسانيون أنفسهم يرفضون إدخال الصوتيات الفيزيائية (حتى وإن استعملوا الكثير من نتائجها) ضمن مواد علمهم، كما أنهم همشوا الدراسات الاجتماعية الخاصة باللغة والدراسات النفسية التي تهتم بالكلام، ففضلوا أن تكون الأولى اختصاصاً سموه علم اللسان الاجتماعي (sociolinguistique) والثانية ميداناً لقب بعلم اللغة السيكولوجي (psycholinguistique).

ومن خلال هذا يظهر لنا أن اللسانيات علم قائم بذاته حتى وإن استفاد من بقية العلوم. وهو يستعمل منهجية خاصة ويهدف إلى أغراض معينة.

أغراض اللسانيات كانت تتطابق في القديم مع أغراض علم النحو الذي كان الهدف منه المحافظة على اللغة وتعلمها، وذلك بتحديد سلسلة من القواعد يستعملها الناطق بصفة عقلانية وشعورية بدلاً من التعامل الحدسي واللاشعوري مع اللغة والكلام.

وهذا الهدف قد يظهر قديماً، وثانوياً بالنسبة للأعمال الحديثة، ولكننا لو تأملنا جلياً الدراسات اللغوية الحالية لرأينا أنها تهدف كلها، بصفة صريحة أو غير صريحة، إلى إنشاء نموذج **لغوي**، أي أنها تطمح إلى تحديد وحدات اللغة وطرائق تركيبها أي إلى تحديد القواعد العقلانية التي تمكّن الدارس، بعيداً عن حدسه أن ينتج السلاسل الكلامية.

والجديد في موقف اللسانيين هو أنهم لا يعاملون الألسن على أنها نماذج منعزلة تستدعي كل واحدة منها أدوات خاصة، وإنما هم يبحثون عما هو **عالمي** universel في اللغة، فمفهوم الفونيم يخص كل لغات العالم وكذلك الشأن بالنسبة للمرفيم، والمسند والمسند إليه، واعتباطية الدليل، وثنائية التركيب اللغوي إلخ...

وكلما ازدادت عالمية الأدوات اللغوية، وعمت صلاحيتها المزيد من الألسن، كلما تحسن النموذج اللغوي واكتسب **مصداقية** لا تنكرها المدارس على كثرتها واختلاف رؤاها.

٢ المستوى الصوتي

١ ـ الأصوات les sons

إن الناطق بكلمة، في كل لغة من اللغات، يؤديها بصفة متواصلة وكأن ما تلفظ به شيء واحد لا يقبل التجزيء، ولكن داخل هذه الوحدة الصوتية، يمكننا إجراء تجزيئات، وتحديد وحدات متتالية، صغيرة، غير قابلة للتجزيء. هذه الوحدات تسمى الأصوات وهذه الأصوات يمكن وصفها فيزيائياً فتكون حادة أو كثيفة أو قاطعة.

ويمكن وصفها باللجوء إلى طريقة النطق فتكون: شديدة أو رخوة، مجهورة أو مهموسة... والشائع الآن هو الوصف الفيزيولوجي المبني على:

ـ **مكان النطق** ويسمى **المخرج** وهو النقطة الي يحدث فيها أقصى تضييق للفم.

ـ **طريقة النطق** وهي الكيفية التي ينساب بها الهواء، فيكون الصوت **انفجارياً** (شديداً) إذا كان الانغلاق تاماً ويخرج الهواء دفعة مثلما يحدث في النطق بالباء، أو **رخواً** (مستمراً) عندما ينساب الهواء بدون انقطاع مثلما يحدث عند النطق بالفاء، وإذا انساب جزء من الهواء من الأنف كان الصوت **خيشوماً** ومقابله هو الصوت الفموي.

ـ نشاط الأوتار الصوتية، فإن رنت كان الصوت مجهوراً (الدال مثلاً). وإن لم يكن لها رنين فالصوت مهموس (التاء مثلاً).

ـ إضافة تجويف ثانوي عند الحاجة كالتفخيم في الطاء والظاء وعلى سبيل المثال ما هي الصفات الخاصة ببعض الحروف:

ب	شفوي	شديد	فموي	مجهور
م	شفوي	رخو	خيشومي	مجهور
ف	شفوي أسناني	رخو	فموي	مهموس

٢ ـ الفونيم

تحديد صفات الأصوات التي تكلمنا عنها حتى الآن قد أجري بمعزل عن اللغة، ولنتأمل ماذا يحدث في لغة معينة وهي العربية.

الجدول الآتي:

السلسلة ١	تاب	سار	ذلّ
السلسلة ٢	طاب	صار	ظلّ

يرينا أن كل حرف في بداية الكلمة من السلسلة ١ يختلف عن مقابله من السلسلة ٢ بالتفخيم.

فالتاء في «تاب» تختلف عن الطاء في «طاب» فقط لكونها مرققة، والطاء مفخمة. وكذلك الشأن بالنسبة للسين والطاء والذال والظاء، نقول إن الفرق بين التاء والطاء هو الفرق بين السين والصاد، وهو الفرق بين الذال والظاد.

لنتأمل الجدول الآتي:

ت	شديد	مهموس	فموي	مرقق
ط	شديد	مهموس	فموي	مفخم
ذ	رخو	مجهور	فموي	مرقق
ظ	رخو	مجهور	فموي	مفخم
ن	رخو	مجهور	خيشومي	

في الخانة الأخيرة الخاصة بالنون فإننا نلاحظ أننا لا نستطيع أن نصف هذا الحرف بالمفخم أو بالمرقق وذلك لأن السياق يجعله تارة مفخماً مثل «نص» وتارة مرققاً مثل «ناس» وفي بعض الحالات يمكننا الترقيق، أو التفخيم دون أن يؤثر ذلك على الخطاب، ولو بحثنا في العربية على حرف يطابق النون في كل صفاتها ويخالفها فقط في التفخيم والترقيق لما عثرنا عليه.

نقول عندئذ إن «**التفخيم**» صفة **مُمَيِّزة** في الطاء والظاد، وليست صفة مميزة في النون.

ويخصص اللسانيون مصطلح «**الفونيم**» للدلالة على أصغر وحدة واردة في السلسلة الكلامية محددة بصفاتها المميزة. وقد تختلف الصفات المميزة للفونيم الواحد من لغة إلى أخرى فالباء في الفرنسية توصف بالجهر لأن في الثنائية: (pas, bas) يفرق الجهر بين كلمتين، بينما انعدام حرف مهموس له باقي صفات الباء في العربية يجعل هذا النوع من التقابل غير ممكن، والجدول الآتي:

الباء في الفرنسية	شفوي	فموي	مجهور
الباء في العربية	شفوي	فموي	
النون في اللغتين	شفوي	أغن	

يظهر لنا أن الباء في الفرنسية توصف بأنها حرف شفوي، فموي، مجهور، والباء في العربية توصف بأنها حرف شفوي، فموي، وهذا لا يعني أن العرب ينطقون بباء تختلف عن باء سائر اللغات، هذا يعني فقط أن الجهر إن اختل في الفرنسية، فهو يؤدي إلى تحويل الوحدة اللغوية إلى أخرى مثل: (peau, beau) بينما لا يحدث هذا في العربية.

أما النون التي توصف بالشفوية والغنة، فإنها تملك في اللغتين نفس الصفات المميزة.

الوصف الذي أجريناه يسمى الوصف **الفونولوجي**، وهو يختلف عن الوصف الصوتي ولا غرابة أن ينتج عن هذا اختلاف في الوحدات، ولذلك فإن اللسانيين ميزوا بين الكتابة الصوتية والكتابة الفونولوجية فرمزوا للأولى بما يلي /b/ وللثانية بالرمز [b] فالكتابة /b/ تعني الباء كصوت بكل خصائصه الفيزيائية بغض النظر عن اللغة التي يَرِد فيها، والكتابة [b] تعني الباء كفونيم بخصائصه الفونولوجية في لغة معينة.

٣ ـ الراء في العربية

الراء في العربية حرف ينطق بوضع ذولق اللسان على الحنك الأعلى، وتتكرر حركة اللسان عند مرور الهواء فيسمى من أجل

ذلك «تكرارياً»، وهو بهذا لا يكون شديداً ولا رخواً، فيقال عنه إنه «مائع» (liquide)، شأنه في ذلك شأن اللام التي هي حرف جانبي (لأن الهواء يخرج من جانب اللسان) ومائع. وتكون الراء في العربية، تارة مرققة وتارة مفخمة، وقد حدد القدماء بدقة مواقع التفخيم والترقيق.

وتكون عندنا في العربية على المستوى الصوتي راءان: راء مرققة يرمز إليها بالرمز /r/ وراء مفخمة رمزها /ṛ/. ولكن من ناحية الفونولوجيا العربية تملك راءاً واحدة رمزها [ṛ]. نستطيع أن نقول إذن /r/ و /ṛ/ تأديتان أو نوعان (deux variètés) للراء.

ولكن التأديات هنا ليست اختيارية. فالسياق يفرض الترقيق مثل ريمٌ /rīmun/ حيث لا يجوز التفخيم، أو يفرض التفخيم في مثل رَامَ /ṛāma/ حيث لا يجوز الترقيق.

نقول إننا أمام تأديات مقيدة (variantes liées) أو سياقية، وإذا قارنا الراء العربية بالفرنسية نرى أن الفرنسيين يستعملون أحياناً مكان /r/ الصوت /R/ الذي هو شبيه بالغين، ولكن بصفة اختيارية. ففي الجنوب ينطقون براء شبيهة برائنا وفي العاصمة يؤدونها كالغين، والناطق حر في اختيار التأدية التي يريدها دون أن يؤثر ذلك على فهم كلامه، بينما في العربية التقابل الذي يجري مثلاً بين «راب» و «غاب» يمنع من استبدال أحد الصوتين في بداية الكلمة بالآخر.

هذا المثال يظهر لنا أن اللغات تتعامل مع الأصوات بطرق مختلفة وأن الوصف الصوتي لا يكفي عند دراسة المستوى الفونولوجي فمن اللازم أن تكون الدراسة فونولوجية.

٤ ـ المرادفات الصوتية في العربية

قد رأينا أن التأدية قد تكون مقيدة بالسياق، وقد تكون حرة (variante libre)، وحروف العربية تعرف تأديات مختلفة، وقد ذكرها لنا **سيبويه** تحت عنوان «**الحروف الفرعية**» في بداية **باب الإدغام** الشهير، والاعتراض الوحيد الذي يمكننا الإدلاء به خاص بالمصطلح، فما وصف هو تأديات للحروف ولا يمكن تسميته حروفاً، ولكن من الناحية العملية فإن معاملته للفروع بالنسبة للأصول كمعاملة التأديات المرادفة لممثلها الفونيم. وليس قصدنا هنا الدراسة الوافية لكل تأدبات الحروف العربية وإنما مرادنا إبراز مفهوم «**الفونيم**» بأمثلة مأخوذة من لغتنا ونطقها الحالي.

الجيم: التأدية الأساسية للجيم هي نطقه كالشين ولكن مجهوراً فهو حرف شجري، رخو، مجهور.

وللجيم تأديتان ثانويتان:

ـ نطق مركب [دج] بدايته الحرف الشديد [د] ونهايته الرخو [ج] فتكون الجيم بذلك نصف شديدة (affriqué) وهذا النطق وارد في كثير من اللغات من بينها الإيطالية والإنجليزية (jet)، ويعده الفونولوجيون فونيما واحداً.

ـ نطق يجعل منها كافاً مجهورة [g] وهو النطق القاهري.

سواء نطقت الجيم شديدة [g] أو نصف شديدة /دج/ أو رخوة /دج/ فإنها تبقى حرفاً واحداً.

القاف: للقاف تأديتان:

ـ التأدية المعتادة التي مخرجها اللهاة /q/.

ـ تأدية أقصى حنكية تتقابل فيها مع الكاف بالهمس [g] (وهي تطابق الجيم القاهرية).

وسواء أدينا مثلاً كلمة قال كما يلي: /qāla/ أو /gāla/ فإن المعنى لا يتغير وتبقى القاف العربية هي القاف: فونيم واحد.

هناك من ينطق بالقاف همزة في مصر وسوريا وجزء من الجزائر (تلمسان)، ولكن يظهر أن هذه التأدية مقتصرة على العامية.

حرف الضاد: وصف القدماء حرف الضاد بأنه: لثوي، رخو، انحرافي، مجهور، مطبق.

ويرى اللغوي (Cantineau) أن هذا الحرف ما هو إلا ظاء ذات زائدة انحرافية أي أنه كان ينطق (ظل)؛ ومهما يكن نصيب هذا الافتراض من الصحة فإن النطق القديم لهذا الحرف قد ضاع وأصبحت له تأديتان:

ـ تأدية مطابقة لنطق الظاء وهي السائدة في المغرب العربي.

ـ تأدية تجعله دالاً مفخمة، وهو النطق السائد في المشرق.

لزوم الوصف الفونولوجي

من خلال هذه الاعتبارات يظهر لنا أن الوصف الصوتي للحروف لا يكفي، وإنما يلزم إقرانه بالدراسة الفونولوجية وقد لخصنا الصفات الصوتية لحروف العربية والصفات المميزة في جدول فونولوجي، وباستطاعة القارىء أن يقارن بين الجدولين، ولمزيد من التوضيحات يمكنه أن يرجع إلى كتابنا «الصوتيات والفونولوجيا».

٥ ـ الصوامت والصوائت في اللغة

الصامت (la consonne) هو صوت يكون خلال تأديته انغلاق تام (مثل الباء) أو جزئي (مثل السين) في نقطة أو نقط متعددة من جهاز النطق عند مرور الهواء.

أما **الصائت** (la voyelle) فهو صوت يمر الهواء عند النطق به بحرية عبر الجهاز الصوتي مثل [a, i, u, e].

وهناك حروف يكون فيها الانغلاق ضعيفاً بحيث أنها تشبه الصوامت والصوائت في آن واحد، فيسمى كل واحد منها نصف صائت semi-voyelle ومن بين هذه الحروف الواو والياء.

٦ ـ الصوائت في العربية

الصوائت في العربية هي ما يسمى تقليدياً بالحركات وهي ثلاثة:

ـ الفتحة وهي وسطية، منفتحة، منفرجة.

ـ الضمة وهي خلفية، منغلقة، مضمومة.

ـ الكسرة وهي أمامية، منغلقة، منفرجة.

ولن نحلل هذه المصطلحات فالقارىء، لمزيد من المعرفة، يمكنه الرجوع إلى كتاب «الصوتيات والفونولوجيا».

وهذه الحركات لها تأديات قصيرة بحيث أنه لدينا عملياً ستة عناصر:

الفتحة القصيرة [a] والفتحة الطويلة [ā].

الكسرة القصيرة [i] والكسرة الطويلة [ī].

الضمة القصيرة [u] والضمة الطويلة [ū].

والمد في اللغة من عناصر النغم، وهو وظيفي في العربية، فالتقابل بين كَتَبَ /kataba/ وكاتَبَ /kātaba/ لا يقع إلا على مستوى المد.

٧ ـ الصوائت ومبدأ الخطية

إن الفونيمات عند تكوين الشكل الصوتي للدليل اللغوي تتتالى عبر عنصر الزمن، الواحدة بعد الأخرى، ويسمى هذا المبدأ: مبدأ الخطية (linéarité)، وخلال هذا التسلسل تظهر الصوائت في مواقعها مثل الصوامت، فـ:

- الحركات لا ترافق الحروف ولا تظهر معها ولكن بعدها.
- لا يمكن إهمال الحركات عند تحليل قطعة صوتية.

ففي كلمة «كُتِبَ» تأتي الضمة بعد الكاف والكسرة بعد التاء والفتحة بعد الباء كما يظهر في الكتابة الصوتية /kutiba/، والتدوين بالحروف العربية يمكن أن يكون كالآتي /كـ/ + /ـُ/ + /ت/ + /ـِ/ + /ب/ + /ـَ/ وليس /كـ/ + /ت/ + /ب/ أو /كُـ/ + /ت/ + /بَ/.

لا يمكن عد السكون من بين الحركات فكلمة (لَنْ) تكتب صوتياً /lan/ وتجزأ كالآتي:

/لـ/ + /ـَ/ + /ن/ وليس /لـ/ + /ـَ/ + /ن/ + /ـْ/ لا يمكن عد حروف المد من بين الحروف فكلمة (قَالَ) تكتب صوتياً /qāla/.

وتجزأ كالآتي: /ق/ + /ـَا/ + /لــــ/ + /ـَ/ والرمز /ـَا/ يقابل /ā/ ويعد صائتاً واحداً هو الفتحة الطويلة.

٨ ـ المد وعناصر النغم

العناصر الفونولوجية لا تقتصر على الفونيمات، والعلم الذي يدرس الفونيمات هو جزء فقط من علم الفونولوجيا، يسمى **الفونِيميَا**، وتنقسم الفونولوجيا إلى:

- الفونيمْيا: تدرس الفونيمات (la phonématique)،
- علم النغم يدرس النغم (prosodie)،

والنغم يدرس أساساً ثلاثة عناصر: النبر، والمد، والارتفاع.

وهذه العناصر قد تكون وظيفية في لغة وغير وظيفية في لغة أخرى.

فالنبر مثلاً وظيفي في لغات مثل الإنجليزية والروسية فكلمة (import) إن ركزت عند نطقك على مقطعها الأول كانت بمعنى (الاستيراد)، وإن ركزت على نهايتها كانت بمعنى (استورد).

أما الصينية فإنها توظف الارتفاع (ton) للتمييز بين كلمات تختلف في الدلالات وتتطابق على مستوى سلسلة الفونيمات.

وفي العربية قد رأينا أن المد يمكّننا من التمييز بين (كَتَبَ وَكَاتَبَ) وبين (سَامَ وَسَمَا) وبين (نَاعِمٌ ونَعِيمٌ) فهو إذن وظيفي.

وإذا حاولنا أن ندرس خصائص النبر فإنه يمكننا أن نلخصها في ما يلي:

أ ـ عناصر النغم مستمرة فإنك عندما تمد الحركة الأولى من (سَالَ) فإنه لا يمكن أن يقاس هذا بزمن محدد مقنّن بحيث أنك إذا قصرت بِعُشْرِ ثانية مثلا تحصلت على حركة قصيرة. وإذا مددت أكثر من هذا المقدار تعديت حدود المد.

وبخلاف ذلك فإن الفونيمات عناصر منقطعة unités discrètes يُقال عنها إنها قابلة للعد بالمفهوم الرياضي، فعندما تقول (سَامَ) مرة، ومرة (صَامَ) فإنك لا تنتقل من السين إلى الصاد بصفة مستمرة، فأنت إما تفخم صراحة الحرف الأول فتتحصل على (صَامَ) وإما لا تفخمه فتتحصل على (سَامَ).

ب ـ عناصر النغم ليس لها موقع في تسلسل الأصوات أي أنها ليست واردة بين صوت وآخر، وإنما هي واقعة على مصوت أو مجموعة من المصوتات، فعندما تحلل كلمة (فِي) فإنك لا تقول (فِي = فاء + كسرة + حرف المد ياء) لأن هذه الياء لا ينطق بها، وإنما ورودها في الكتابة العادية هو للدلالة فقط على مد الكسرة التي قبلها، والتحليل الصوتي الصحيح هو: (في = فاء + كسرة ممدودة)، وترى أن كلمة (ممدودة) خصت الكسرة فهي إذن صفة لها.

ولذا فإن اللغويين سموا عناصر المد: phonèmes suprasegmentaux **مصوتات** ما فوق المقطعية أي أنها ليست قطعاً صوتية تؤخذ داخل السلسلة الصوتية، وإنما هي ترافق قطعة من القطع التي تتتالى على المحور الخطي.

٩ ـ الكتابة الصوتية

اللغات التي عرفت الكتابة، بَنَتْ هذه على أسس مختلفة، أشهرها تلك التي تدون الفونيمات، أقول الفونيمات وليس الأصوات، لأن عدد الأصوات كبير جداً، كبير كبر كل التأديات الممكنة لمختلف الحروف والحركات.

لنفرض أننا نريد في العربية تدوين هذه التأديات في الكتابة العادية، في هذه الحالة يلزمنا كتابة (جاء) مثلاً على إحدى الطرق: (جاء، دجاء، ڨاء) وكلمة قال على الشكل: (قال، ڨال، آل)، ويكون أمام مدون النصوص اختيارات كثيرة، فلإصدار كتاب واحد يلزمنا نسخة خاصة بالجهة التي تنطق بها القاف كالكاف المجهورة، ونسخة لمن ينطقها (دج) إلخ... وبما أن لكل شخص نطق فردي يمتاز به فيلزم في هذه الحالة نسخة لكل فرد...

ومن جهة أخرى فإن حرفاً مثل الراء له نطقان: نطق مفخم ونطق مرقق، يلزمنا إذن رمزان جديدان واحد لكل تأدية، فنكتب مثلاً (رنّ) برمز الحرف المفخم، ومضارعه (يَرِنّ) برمزه المرقق مما يجعل القارىء يشعر بأنه أمام كلمة ذات أصل جديد.

كل هذا يظهر لنا أن الكتابة العادية لا تستطيع أن تكون إلا ذات مبدإٍ «فونولوجي»، فكل حرف يدون «فونيما» واحداً.

وعلماء الأصوات اضطروا إلى اختراع رموز لتدوين الأصوات وحاولوا أن تكون هذه الرموز عالمية لغرضين:

١ ـ استعمالها في كل اللغات على اختلاف رموز كتاباتها.

٢ ـ توحيد الكتابة الصوتية قصد تفاهم الدارسين والباحثين، فالحرف الأسناني الفموي (وهو الثاء عندنا) يكتب θ، والشين والجيم يكتبان (ʃ, ʒ) والقاف تكتب (q) والهمزة تدون هكذا (ʼ) إلخ...

ومن جهة أخرى، فإن اللغات وإن كان تدوينها فونولوجيا في المبدإ فإنها لا تحترم مبدأ التقابل: فنرى مثلاً الكاف يدون في الفرنسية بإحدى الطرق: (c, k, q, qu, ch) والحرف: (x) يقابل

صوتين (كـ + س)، والحرف: (c) ينطق تارة كالكاف، وتارة كالسين، أما (s) فإنه تارة سين وتارة زاي.

كل هذا أدى باللغويين إلى إرفاق كل كلمة يدرسونها صوتياً بنطقها وإن كان شائعاً، فيكتبون مثلاً (maison) وبجنبها (mesõ)، وحتى القواميس الحديثة فإنها عممت هذا الاستعمال وذلك لأن القارىء يحتار أحياناً أمام نطق بعض الكلمات، فكلمة مثل (chorale) الفرنسية، هل بدايتها (شين) أم أنها تبتدىء بالكاف وتنطق (كورال)، وقاموس لاروس يعطينا هذه المعلومات إذ نراها مدونة كالآتي: (koral).

١٠ ـ قضايا الكتابة العربية على المستوى الصوتي

إن التقابل في العربية بين الحرف المكتوب والحرف الفونولوجي تقابل أحادي، هذا ما جعل قضية نطق الحروف غير مطروحة على مستوى لغتنا، فنحن عندما نبحث في المعجم عن نطق كلمة، فإننا نبحث عن توزيع الحركات بالنسبة للحروف، فأمام الاسم «برية» نتردد بين القراءتين: (بَرِيَّة)، (بَرِّيَّة)، إن ترددنا خاص بالحركات التي تتلو الباء والراء والياء والتاء، ولكن هذا التردد لا يخص أبداً نطق هذه الحروف الأربعة، ولذا فإن معجمنا لا يحتوي على رموز صوتية لتحديد نطق الكلمات.

وكل هذا جيد وإيجابي بالنسبة للغتنا، وهذه الإيجابية جعلت المحدثين من اللغويين عندنا لا يهتمون بالكتابة الصوتية، وهذا خطأ لأن كتابتنا لها سلبيات من ناحية علاقة الحروف بالحركات. فكتابتنا لا تدون الحركات، وإن دونتها فهي تجعلها فوق الحروف أو

تحتها. والكتابة المشكلة تحل مشكل النطق بالنسبة للقارىء العادي ولكنها لا ترضي اللغوي.

فإن كان اللغوي عروضياً فإن جملة مثل (هذا الطِّفْلُ ذَكِيٌّ)، لا ترضيه من ناحية الكتابة فيدونها هكذا: (**هَاذَ طْطِفْلُ ذَكِيْيُنْ**) حسب كتابته العروضية المبنية على المبدإ «يسجل ما يظهر على اللسان».

ولكن هذه الكتابة العروضية لا ترضي عالم الصوتيات لأنه لا يرى فيها تسلسل المصوتات وموقع كل واحد منها في السلسلة المنطوقة، فهذه الكتابة توحي بأن أول رمز هو الهاء والثاني هو الألف والثالث هو الذال. . . أما الحركات فإنها ترافق الحروف، وهذا خطأ، فالحركات تأتي بعد الحروف، ولا تكون معها. ومن جهة أخرى فإن حروف المد ليست حروفاً، وإنما هي فقط رموز إملائية تدل على مد الحركات فالمختص يضطر إذن إلى كتابة من النوع:

ه + ـَا + ذ + ـَا + ط + ط + ـِ + ف + ل + ـُ + ذ + ـَ + ك + ـِ + ي + ي + ـُ + ن أو يلجأ إلى الكتابة الصوتية: «hā + aṭṭiflu + akijjun» وهي أبسط، رغم أن استعمال الرموز الصوتية ليس شائعاً عندنا.

١١ ـ تدوين الحركات وحروف المد في العربية

إن الحركات وحروف المد دونت في العربية بصفة خاصة:

١ ـ الحركات دونت فوق أو تحت الحروف موهمة القارىء بأنها ترافق هذه الحروف مع أنها تأتي بعدها في السلسلة الخطية.

٢ ـ حروف المد دونت كأنها حروف عادية لها موقع في السلسلة

الصوتية مع أنها لا تملك أي موقع في السلسلة وهي ترافق الحركات (أي أنها صفة لها) ولا تتلوها.

فكلمة (قام) إن كتبت صوتياً ترينا التقابل الآتي:

قَامَ qāma

فالفتحة أصبحت رمزاً عادياً (a) ضمن رموز الكلمة، والألف انتقلت إلى خط يرافق الفتحة للدلالة على مدها.

هذه الملاحظات قد تظهر بديهية ولكن تجربتنا أرتنا أن كثيراً من الطلبة ما يزالون يكتبون (قام) كالآتي:

(ق + ا + م) أو (قَ + ا + مَ)، أو (ق + ـَ + ا + م + ـَ)

والقليل منهم يحللونها كما يأتي: (ق + ـَا + م + ـَ)

ولكن حتى الرمز (ـَا) الذي وضع للدلالة على الفتحة الممدودة فهو غير مُرْضٍ؛ لأنه يوحي بأننا أمام رمزين.

والقضية ليست قضية تدوين وتقطيع وإنما هي تتعداها إلى ما هو أهم وأخطر.

١٢ ـ الأثر السلبي للكتابة على البحث اللغوي القديم

إن أعمال القدامى في الميدان الصوتي عمل رائع وقد كان بإمكانه أن يكون أكثر كمالاً لولا التأثير السلبي لبعض جوانب كتابتنا.

١ ـ تدوين الحركات بطريقة غير إجبارية جعل اللغويين يعطونها من الناحية الصوتية أهمية ثانوية، فسيبويه لم يدرجها بصفة مستقلة ضمن وصفه لمخارج الحروف، وإنما وصفها عبر حروف المد:

الألف والواو والياء فقط.

أما ابن جني فإنه اعتبرها حروفاً صغيرة أو أبعاضاً من الحروف واستدل على ذلك بأنها إذا أشبعت ومطلت أنتجت حروفاً.

٢ ـ **تدوين الحركات فوق وتحت الحروف** جعل الكثير من اللغويين يتساءلون عن الموقع الحقيقي للحركات، فهذا ابن جني يطرح القضية في باب سماه «باب محل الحركات من الحروف معها قبلها أو بعدها» فيقول: «أما في مذهب سيبويه فإن الحركة تحدث بعد الحرف، وقال غيره: معه، وذهب غيرهما إلى أنها تحدث قبله «وهذه التساؤلات كان بالإمكان ألا تقع لو انتبه اللغويون القدماء إلى أن الكتابة ليست إلا وسيلة وأن الأصل هو السلسلة الصوتية.

٣ ـ **تدوين حروف المد بطريقة مماثلة لسائر الحروف** جعلهم يتعاملون مع بعض عناصر النحو بطرق ملتوية أحياناً، انظر قضية إعراب الأسماء الخمسة وما يقوله ابن جني في هذا الشأن: «فما أجري مجرى الحركات: الألف والياء والواو إذا أعرب بهن في تلك الأسماء الستة: أبوك وأخوك ونحوهما. «الخصائص ج٢، ص ٣١٦».

فلو قارنا بين العلامات الإعرابية في كل من:

جاء الأب، ورأيت الأب، ومررت بالأب.

وجاء أبوك، ورأيت أباك، ومررت بأبيك.

نرى أن التقابلات على المستوى الإملائي:

أبُ، أبُو، أبَ، أبَا، أبِ، أبِي (قد عزلنا الكلمات عن سوابقها ولواحقها).

تشير أن نهاية الكلمات هي إمّا الضمة أو الواو، وإما الفتحة أو الألف وإما الكسرة أو الواو، مما جعلهم يقابلون بين:

الضمة والواو، الفتحة والألف، الكسرة والياء.

فيستنتجون من هذا أن علامات الإعراب هي في هذه الأسماء الواو والألف والياء.

ولكن هذه البرهنة صحيحة فقط على مستوى الإملاء، أما على المستوى اللغوي فالكتابة الصوتية تظهر لنا التقابلات الآتية:

abu/abū, aba/abā, abi/abī

وعلامات الإعراب، أي ما يلحق أواخر الكلام، هي في حالة الأسماء الخمسة: الضمة الممدودة ū، والفتحة الممدودة ā، والكسرة الممدودة: ī لأن المد في حد ذاته لا يصلح أن يكون مرفيما.

ويكون إذن التقابل اللغوي الحقيقي هو:

(u/ū), (a/ā), (i/ī)

وينتج عن هذا أن علامات الإعراب في الأسماء الخمسة ما تزال الضمة والفتحة والكسرة وإنما مدت فقط هذه الحركات. والصواب إذن يقتضي أن نقول إن الأسماء الخمسة ترفع بالضمة الممدودة وليس بالواو، وتنصب بالفتحة الممدودة وليس بالألف، وتجر بالكسرة الممدودة وليس بالياء.

١٣ ـ قضية الهمزة في بداية الكلام واستقلالية الحركات

عندما ينطق العربي بكلمة (إسطنبول) والغربي بـ (Istanbul) فإن النطق في بداية القطعة الصوتية له حظ كبير أن يكون متطابقاً على

المستوى الفونولوجي، ولكن العربي يدون ما قبل حرف السين بما يلي: /إِ/ الموافق في الكتابة الصوتية لما يلي: /ʼi/، وغيره بالرمز الواحد /i/، أي أن العربي يشعر بأنه ينطق بألف متبوعة بكسرة أي (بصامت + صائت)، وغيره يشعر بأنه ينطق بالكسرة وحدها فقط أي بصائت. وتنتج عن هذا نظرتان متغايرتان:

أ ـ نظرة عربية تقليدية للحركات تقول بأنه لا يمكن النطق بها وحدها، والكتابة العادية تؤكد هذا، حتى عند غياب همزة القطع نرفق الحركات بألف: اُخْرُجْ، اِسْمَعْ.

ب ـ نظرة تقول بأن الحركات قد تنطق وحدها مثل (a) في (qui a mangé) و (ū) في (toi ou moi)، و (ī) في (istambūl) و (īmānun). والقضية مرتبطة بقضية الهمزة ويمكن طرحها كالآتي:

هل تنطق في بداية بعض الكلام بالحركة وحدها، أم أن هذه مسبوقة لزوماً بهمزة؟

لنتساءل الآن عن الهمزة وعن صفاتها، الهمزة تسمى «انغلاقاً حنجرياً» (fermeture glottale) وتتمثل في حبس الهواء فجأة على مستوى الحنجرة كما في «مأزق»، والقضية إن طرحت على المستوى الصوتي الفزيولوجي تطرح كالآتي:

(هل كل تأدية لحركة في بداية الكلام مسبوقة بانغلاق حنجري؟).

يمكن الإجابة عن هذا السؤال باعتبارات فيزيولوجية حول الوضع المعروف عند علماء الأصوات وهو «وضع التأهب للنطق»، ويمكن للمخبر بالتصوير بواسطة أشعة أو بالتسجيل الفيزيائي، أن يعطينا أجوبة. ولكن الجواب يكمن في الحل اللساني، لأن

الصوتيات ليست دائماً موازية للفونولوجيا. فمثلاً بالنسبة للحروف الشديدة الرخوة (les sons affriqués) أي الشين والجيم التي تنطق /تش/ و/دج/ فإن بعض اللغات تعامل كل واحدة كحرف واحد وبعضها كحرفين، وفي الإنجليزية بعض اللغويين يفضل اعتبار /Č/ حرفاً واحداً والبعض يعتبره حرفين (تاء + شين)، وكذلك الشأن بالنسبة لـ /ǰ/، الجواب، في هذه الحالة آت من المعالجة اللغوية، وليس من الدراسة الفيزيائية والفيزيولوجية.

١٤ ـ المقاطع اللغوية

المقاطع اللغوية هي تجمع من الحروف والحركات المأخوذة من سلسلة كلامية ففي (كُتُبٌ /kutubun/ لدينا ثلاثة مقاطع (كُـ + تُ + بُنْ). (ku - tu - bun)، وفي (كتب الدرس) /katabaddarsa/ يكون التقطيع المقطعي كالآتي:

كَـ + تَ + بدْ + دَرْ + سَ ka + ta + bad + dar + sa.

وتحدد أنواع المقاطع حسب تجاور عدد الحروف والحركات في المقطع، وأشهر مقطع هو المكون من حرف وحركة وهو وارد في كل اللغات ويرمز له بالرمز (cv) حيث يشير c إلى الصامت أو الحرف (consonne) و v إلى الصائت أو الحركة (قراءة الرموز اللاتينية تكون من اليسار إلى اليمين).

إذا انتهى المقطع بحركة فهو مفتوح، مثل: في /fi/ (cv).

وإذا انتهى المقطع بحرف فهو مغلق مثل: منْ /man/ (من النوع (cvc)) وهذه بعض أنواع المقاطع:

ـ المقطع المكون من حركة واحدة: v (فرنسية: a, un).

ـ المقطع المكون من حركة متبوعة بحرف: vc (فرنسية: âne, une).

ـ المقطع المكون من حركة متبوعة بحرفين vcc (فرنسية: axe).

ـ المقطع المكون من حرف وحركة cv (عربية: فِي، بِـ).

ـ المقطع المكون من حرفين وحركة ccv (فرنسية: prix).

ـ المقطع المكون من ثلاثة حروف وحركة cccv (فرنسية: strie).

وقد تحيط الحركة من اليمين والشمال حروف فنحصل على مقاطع من النوع:

cvc, ccvc, cvcc, cccvc, cccvcc إلخ . . .

والترميز العالمي للصامت يمكن أن نعطي له مقابلاً بالعربية فنرمز للصامت أو الحرف بالرمز (ك) والصائت أو الحركة بالرمز (ف)، ويكون هذا ملائماً للدراسة الخاصة بالصوتيات العربية إذ لا يكون هناك داع لقلب اتجاه القراءة.

١٥ ـ المقاطع في العربية

ابتداء الكلام دوماً بحرف، وعدم التقاء الساكنين يجعل عدد أنواع المقاطع محدوداً في العربية فهي من النوع:

١ ـ حرف + حركة أو ك ف (cv) مثل: كَـ، فِي، مَا.

٢ ـ حرف + حركة + حرف أو ك ف ك (cvc) مثل: مَنْ، لَنْ.

وعند الوقف قد يلتقي الساكنان، ويكون لدينا المقطع:

٣ ـ حرف + حركة + حرف + حرف (ك ف ك ك) (cvcc)

مثل: (نَمْز)، (بِرّ) في آخر الكلام.

وقد يلتقي الساكنان في كلمات مثل: هامٌّ ومماسٌّ ولكن ذلك لا يؤثر على طبيعة المقاطع فالتقطيع يكون كالآتي:

هَامٌّ = هَامْ + مُنْ (hām + mun) (cv + cvc)

مَمَاسٌّ = مَ + ماسْ + سُنْ (ma + mās + sun)(cv + cvc + cvc)

١٦ ـ طول وقصر المقاطع من ميدان العروض

كثيراً ما نرى في كتب اللغة، التصنيف الآتي للمقاطع اللغوية في العربية:

١ ـ المقطع القصير المفتوح مثل: بِـ (cv) ويرمز له بالرمز: u

٢ ـ المقطع الطويل المفتوح مثل: مَا (cv̄) ويرمز له بالرمز ـــ

٣ ـ المقطع المغلق cvc مثل: مَنْ، وهو طويل يرمز له بالرمز ـــ

هذا التصنيف مبني على تكافؤ المقطع cv̄ مع المقطع cvc، ولكن هذا التكافؤ يقع فقط في العروض، فلو قلت مثلاً في بداية بيتٍ من الطويل: (أقيموا) لجاز لك هذا، كما يجوز لك: (أقمتم) لأنك ابتدأت البيت بـ (فعولن) ويكون لدينا التقابل:

أَ + قِيـ + مُو

أَ + قَمْ + تُمْ

الذي يبين أن المقطع الثاني يجوز أن يكون على الشكل cv̄ مثل (قِيـ) أو على الشكل cvc مثل (قَمْ) مما يجعل cv̄ يساوي cvc عروضياً.

ونحن نعرف أن كلا من (قِيـ) و (قَمْ) يساوي: متحرك + ساكن أي (01) مما يؤكد التكافؤ العروضي.

ولكن في ميدان اللغة، الطول والقصر يكون بالنسبة للحركات حيث نراه يلعب دوراً تمييزياً، أما على مستوى المقاطع فهذا شيء لا معنى له، إذا لم يوظف في دراسة خاصة.

١٧ ـ المقاطع ونظرية الساكن والمتحرك

زعم بعض المستشرقين أن العرب جهلوا مفهوم المقطع اللغوي، وأن جهلهم لهذا المفهوم قلل من قيمة أعمالهم في ميادين اللغة والعروض، ولكننا إذا رجعنا إلى نظرية الساكن والمتحرك فإننا نلاحظ ما يلي:

أ ـ المتحرك هو حرف متبوع بحركة، فإذا رمزنا له بالواحد فإننا نحصل على التقابل:

أ ← ك ف (أي cv)

ب ـ الساكن هو حرف غير متبوع بحركة فإذا رمزنا له بالرمز: ٠ فإنه يكون لدينا:

٠ ← ك (أي: c)

وعند تقسيمنا لكلمة (مَزْرَعَةٌ) إلى مقاطع فإننا نحصل على:

مَزْ + رَ + عـَ + ـةٌ

ك ف ك + ك ف + ك ف + ك ف ك (١)

وبالسواكن والمتحركات فإن التقطيع يكون كالآتي:

01 + 1 + 1 + 01 (٢)

فلو عوضنا 1 بـ (ك ف) والساكن 0 بـ (ك) في (٢) فإننا نحصل على:

ك ف ك + ك ف + ك ف + ك ف ك (٤)

والسلسلة (٤) هي بالضبط السلسلة (١)

هذا مما يدلنا على أن مفهوم المقطع ومفهوم الساكن والمتحرك هما مفهومان متكافئان. ومن جهة أخرى فإن اعتبار حرف المد ساكناً يرجع إلى اعتبار المقاطع من الصنف (ما، مِي، مُو) مكافئة للمقاطع التي هي من الصنف (مَنْ، مِنْ، مُنْ)؛ أي أن المقطع المكون من حرف وحركة ممدودة (ك فَ: $c\bar{v}$) يكافىء المقطع المغلق (ك ف ك: cvc)، وهذا التكافؤ الذي أبرزنا أنه من ميدان العروض مكننا من تعريف المقطع الطويل ـ والمقطع القصير (u)

ويكون لدينا: - = ك ف = ($c\bar{v}$) = ك ف ك = (cvc) 01

u = ك ف (cv) = 1

وهنا أيضاً نرى أن مفهوم الساكن والمتحرك يلعب دور المقطع الطويل والقصير، وعلى سبيل المثال فوزن الشطر:

وليل	كموج البحر	أرخى	سدوله
(01 011)	(01 01 011)	(01 011)	(01 1 011)
(_ _ U)	(_ _ _ U)	(_ _ U)	(_ U _ U)

يعبر عنه بطريقتين متكافئتين تماماً، فالتكافؤ 1 = U، 01 = _

يجعلنا ننتقل من سلسلة السواكن والمتحركات إلى سلسلة المقاطع، (والعكس) بصفة آلية.

١٨ ـ أنواع المقاطع وقضية الهمزة

قضية الهمزة في بداية الكلام لها أثر على تحديد أصناف المقاطع.

فإن اقتصرنا على المألوف، فإن أنواع المقاطع في العربية أربعة:

ك ف (cv)، ك فَ (cv̄)، ك ف ك (cvc)، ك فَ ك (cv̄c) (١)

أما إذا اعتبرنا أن الهمزة في بداية الكلام هي عبارة عن حركة لا غير فإن كلمة مثل، (أمريكا)، يرمز لها صوتياً كما يلي: /amirīkā/ وتقطع كالآتي:

a + mi + ri + kā أي أنها مكونة من: ف (v) + ك ف (cv) + ك فَ (cv̄) + ك فَ (cv̄) ومن اللازم إذن إضافة المقاطع الآتية للقائمة (١): ف (v)، فَ (v̄) + ف ك (vc) + فَ ك (v̄c)

وهذا الاختيار قد يظهر للبعض طبيعياً، ولكنه يخالف البنى العميقة الصرفية، ففي (أَكَلَ) يمكن على المستوى الصوتي الاعتقاد بأن النطق يبدأ مباشرة بالحركة، ولكن هذه الهمزة لا يمكن إغفالها في كل من:

وَأَكَلَ، سَآكُلُ، يَأْكُلُ، الأَكْلُ، تَآكَلَ. . .

مما يظهر لما أن إهمال الهمزة في بداية الكلام فيه شيء من الإحراج.

ومن جهة أخرى فإن بداية الكلام مفهوم غير محدد بصفة مضبوطة فهل نعتبر أن الهمزة لا تعد في الجملتين:

أمريكا ذهبت إليها (١)

ذهبت إلى أمريكا (٢)

أم أنها تهمل في الجملة (١) فقط؟ فهذا التساؤل تنجرّ عنه اختلافات في تحديد نوعية المقاطع عند تجزيء الكلام، وهو شيء سلبي لا يعرفه الموقف التقليدي القائل بأن الحركة لا تبدأ وحدها مقطعاً في العربية.

٣	الصرف

١ ـ الوحدات الدالة

الوحدات الصوتية الأولى بأنواعها (حروف، حركات، مد، نبر. . .) لا تحمل معنى في ذاتها، ولكن تركيبها، ضم بعضِها إلى بعض، يؤدي إلى وحدات ذات معنى تسمى أدلة لغوية (signes linguistiques)، وهي مكونة من دال (signifiant) أو شكل صوتي، **ومدلول** (signifié)، أو معنى.

وأصغر هذه الوحدات الدالة سماها اللغويون **مُرْفِيماً** (morphème) و «أصغر» ليس هنا بمعنى الكمية فهناك وحدات دالة مكونة من مصوت واحد وأخرى من عدة مصوتات، فالصغر هنا بمعنى **الاحتواء**.

فعندما ندرس كلمة: تَكْتُبُ /taktubu/ في (أَنْتَ تَكْتُبُ) نرى بعد مقارنتها بكلمة يَكْتُبُ /yaktubu/ في (هُوَ يَكْتُبُ) أنها مكونة من: /ta/ الذي يطلق عليه عادة اسم حرف المضارعة، و/ktub/ وهو جذر الفعل الذي يدل على الكتابة، و/u/ الذي يدل على رفع الفعل ويمكن للقارىء أن يقول إن هذا التجزيء وارد في علوم العربية القديمة، ولكن التحليل لا يكون دوماً مسايراً للتحليل القديم، ففي «انقسم» /inqasama/ التي هي كلمة واحدة عند النحاة يمكننا أن نستخرج السابقة /in/ الدالة على المطاوعة والفعل /qasama/.

ومن هنا يظهر لنا أن هناك مفهومين مرتبطين ببعضهما، وهما مفهوم المرفيم ومفهوم الكلمة.

٢ ـ مفهوم الصرف

نرى مما سبق أن الكلمة وحدة صوتية ذات دلالة (أو دلالات) أكبر من المرفيم عموماً، وهي تتطابق أحياناً مع الكلمة المكتوبة مثل (من، في، كتاب) وأحياناً تخالفها. فَـ (بِالدَّارِ) مثلاً كلمة خطية واحدة ولكنها مكونة من كلمتين لغويتين لأنها شبيهة في ذلك بـ: (فِي الدار).

ويمكن تعريف الصرف انطلاقاً من هذا كما يلي:

«الصرف هو علم يدرس:

١ ـ قواعد تركيب المرفيمات لتكوين الكلمات.

٢ ـ الأشكال المختلفة للكلمات حسب الأصناف الصرفية (العدد، الزمن...)»

وهذا التعريف يجعلنا نلاحظ ما يلي:

ـ بنية اللغة ذات ثلاثة مستويات: مستوى المصوتات، مستوى الوحدات الدالة، مستوى الجمل. ونظرية اللغة من إحدى مهماتها الأساسية تحديد القواعد التي تمكّن من الانتقال من مستوى إلى آخر.

الانتقال من مستوى المصوتات نحو مستوى الوحدات لا يخضع لأي قواعد، **فهو اعتباطي**، فمن الحرفين: الميم واللام أركب الحرف: (لَمْ) والفعلين (مَلّ) و(لَمّ)، ولكن ليست هناك أي قواعد تمكنني من استنتاج هذه العناصر. كما أنني لا أملك أي قاعدة تقول

لي بأنني إذا استبدلت الميم بالنون فإن النفي في الماضي (لَمْ)، سيكون نفياً دلالته المستقبل: (لَنْ).

أما الانتقال من مستوى الوحدات الدالة إلى مستوى الجمل فإنه يتم حسب قواعد النحو؛ فلما تقول: **(قرأ الشاعرُ قصيدةً)** فإن هذه الجملة خاضعة للقاعدة التركيبية:

جملة ← فعل + فاعل + مفعول به (السهم يعني تتركب من)

والفاعل تابع للقاعدة:

فاعل ← أداة التعريف + إسم + علامة الرفع

أما المفعول به فإنه يتبع هنا القاعدة:

مفعول به ← إسم + علامة النصب + علامة النكرة (التنوين)

ولا يجوز لي أن أكتب مثلاً:

فاعل ← علامة الرفع + إسم + أداة التعريف.

لأن علامات الإعراب تأتي بعد الاسم وليس قبله كما أن أداة التعريف لا تتبع الاسم وإنما تسبقه.

أما القاعدة:

مفعول به ← أداة التعريف + إسم + علامة الرفع + التنوين، فإنها مرفوضة لأن المفعول به مرفوع ولأن المعرف بـ «ال» لا يقبل التنوين.

فكل هذه القواعد، ومهما كانت الطريقة التي تعرض بها، تُكوّن نحو اللغة وإذا حاولنا أن نبحث عن القواعد التي تمكننا من تكوين المفردة (كتب) مثلاً، فلا نستطيع أن نضع إلا ما يلي:

كتب ← كـ + ت + ب (أي أن كتب تتكون من الحروف كاف + تاء + باء)

وليس لدينا ما يجيز تجاور أو عدم تجاور هذه الحروف، ففي (كتب) أدت إضافة الكاف إلى التاء إلى كلمة مستعملة بينما في (كتس) هذه الإضافة أدت إلى كلمة مهملة.

وفي «كتاب العين» نرى «الخليل» يستعرض كل إمكانيات التركيب، فيأخذ الوحدة المعجمية، وينظر إلى الوحدات التي تنتج عنها بواسطة تبديل مواقع الحروف، وتقود منهجيته إلى العرض الآتي:

كتب: مستعمل بمعنى...

تبك: مهمل

بكت: مستعمل بمعنى...

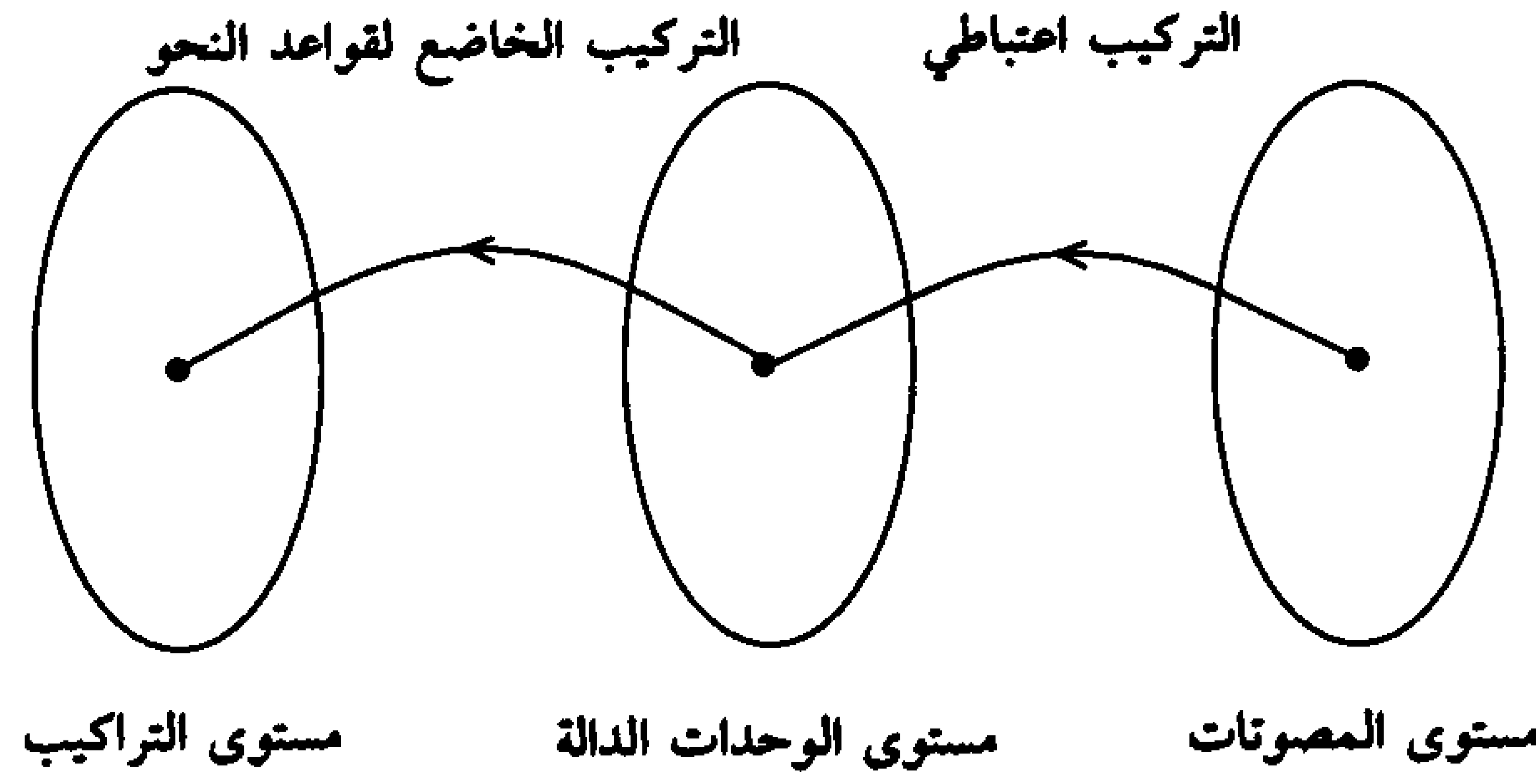
بتك: مهمل

تكب: مهمل

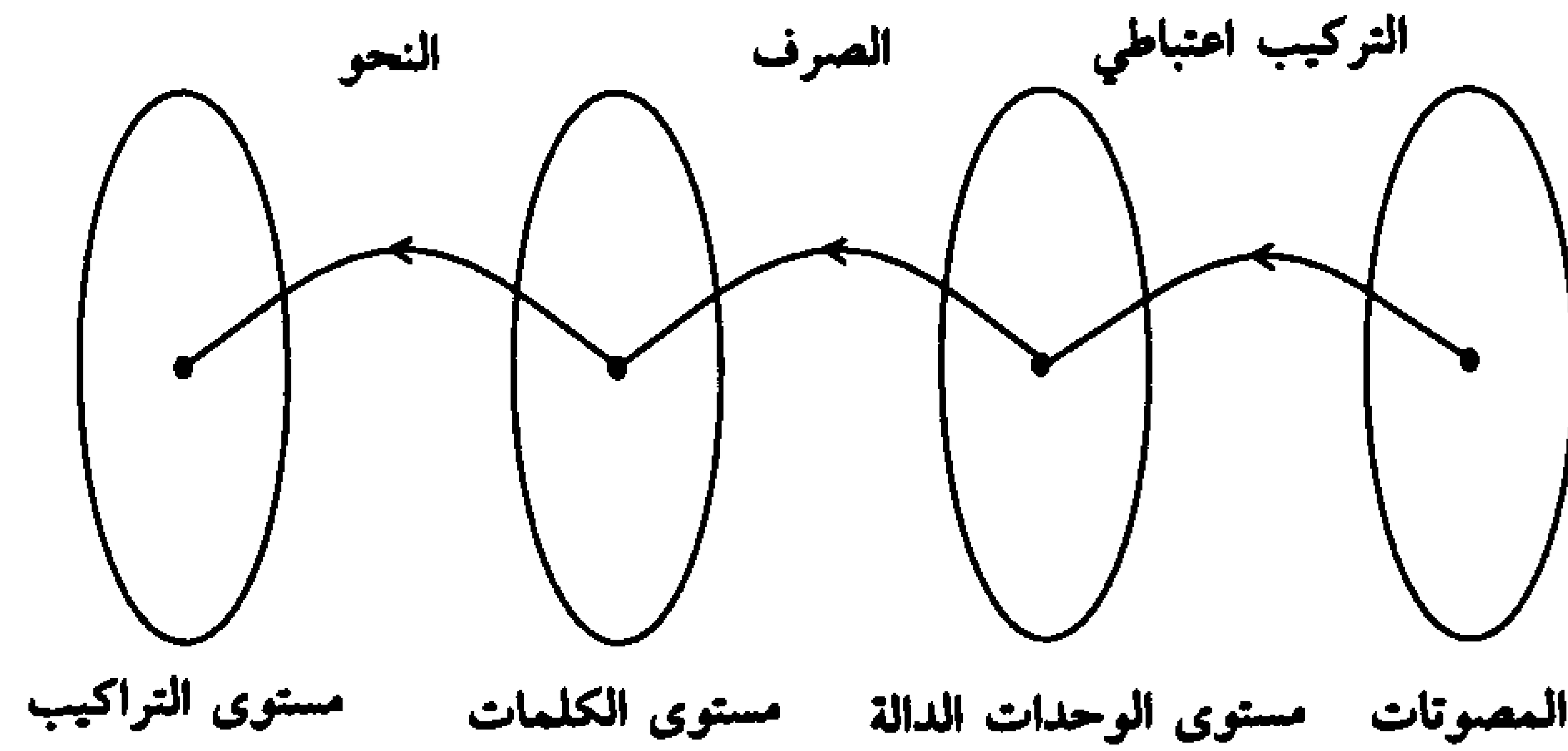
كبت: مستعمل بمعنى كذا وكذا

ولم يقل الخليل شيئاً لتبرير المستعمل والمهمل، لأنه ليس هناك ما يقال، فتركيب الدليل انطلاقاً من مصوتاته عملية اعتباطية.

ويمكن تلخيص كل هذا بواسطة المخطط:



وإذا أردنا إبراز الصرف في هذا المخطط فإنه يمكننا تعديله كالآتي :



ويظهر لنا من خلال هذا أن مستوى الكلمات هو مستوى وسيط بين مستوى الوحدات الدالة ومستوى الجمل.

مفهوم الكلمة: لقد عرفنا «المرفيم» بأنه أصغر وحدة ذات دلالة، ولكننا لم نعرف الكلمة، وما دامت الكتابة لا يعتمد عليها في تحديد الكلمات فإنه يلزمنا أن نبحث عن خصائص ومقاييس في اللغة تمكن من تعريفها.

٣ ـ الاشتقاق والتصريف (dérivation et flexion)

كان اللغويون الغربيون يستعملون في دراستهم لليونانية واللاتينية المفاهيم الثلاثة: التصريف، الاشتقاق. . . النحو. فالتصريف (la flexion) كان معروفاً كالآتي: «هو تغيير يجري على شكل الكلمة للتعبير عن علاقتها بكلمات أخرى من الجملة» فعندما تقول:

أ ـ الولد خرج بالأمس، الولد يخرج غداً

ب ـ اشتريت كتاباً واحداً، اشتريت عدة كتب.

جـ ـ جاء الصديقان، رأيت الصديقين

فإنك تصرف (خرج) في الماضي والمضارع لزوماً لعلاقته بكلمة (الأمس) في الحالة الأولى وبكلمة (غداً) في الحالة الثانية.

أما في (ب) فإنك تصرف الاسم (كتاب) وتنقله من المفرد إلى الجمع لعلاقته بكلمة (واحداً) في الجملة الأولى، ولعلاقته بكلمة (عدة) في الجملة الثانية. أما في (جـ) فإن كلمة (الصديقان) أخذت علامة الرفع لأنها فاعل في الجملة الأولى وأخذت علامة النصب في الجملة الثانية لأنها مفعول به.

وفي كل هذا تغيير لشكل الكلمة الواحدة حسب ما تقتضيه الجملة ومعناها، .فهو تصريف.

أما الاشتقاق (la dérivation) فهو عندهم علم تشكيل الكلمات. فمن (كتب) تشتق اسم الفاعل (كاتب) واسم المفعول (مكتوب) والمصدر (كتابة) إلخ. . .

ولم تستعمل كلمة صرف (morphologie) إلا في القرن التاسع عشر حيث ظهر للغويين الغربيين، بعد اكتشاف اللغة الهندية

(sanskrit)، أن هناك تشابهاً كبيراً بين الاشتقاق والتصريف، وأنه من الأفضل جمعهما في مادة واحدة.

أما عند العرب فإن الصرف كان معروفاً منذ القديم ولم يكن منفصلاً في البداية عن النحو، وقد عرف الصرف والتصريف والاشتقاق تعاريف مختلفة سنتطرق لها بعد توضيح بعض المفاهيم.

٤ ـ مفهوم الكلمة

للكلمة حسب استعمالاتها معان مختلفة، ثلاثة من بينها رئيسية:

أ ـ الكلمة الصوتية: وهي وحدة مكونة من فونيمات، وعناصر نغم، مثل: على (ʻalā)، في (fī)، فتى (fatā) في العربية، و(sõ) son في الفرنسية، وcap (kap) في الفرنسية والإنجليزية.

ب ـ الكلمة النحوية: وهي مرتبطة بصورتها الصوتية، التي هي كلمة فونولوجية، ولكن هذا الارتباط ليس بالتقابل الأحادي فكلمة (son) الفرنسية تقابلها كلمتان نحويتان: الاسم son (بمعنى الصوت) في مثل: (son strident صوت حاد) مثلاً والضمير في مثل (son avenir مستقبله).

وفي العربية، الكلمة (ʻalā) صورة صوتية لحرف الجر (على) وللفعل (علا من: علا يعلو علواً) كما أن (fatā) قد تكون صورة صوتية للاسم (فتى) أو للفعل (فتا، يفتو) أما (fī) فإنها قد تكون تأدية لحرف الجر (في)، أو فعل أمر، عندما يكون المخاطب مفرداً مؤنثاً (أنتِ تَفينَ، الأمر: فِي).

ويلاحظ القارىء أننا، فيما سبق، لم نتكلم عن معنى الكلمة،

فلو أدخلنا المعنى لأضفنا صعوبات جديدة. فكلمة (غزالة) تعني الحيوان المعروف وتعني أيضاً (الشمس)، فهل نحن أمام كلمتين مختلفتين أم أمام كلمة واحدة متعددة المعاني، والشائع في الاستعمال هو اعتبارها كلمة واحدة لأن معاني الكلمة النحوية غالباً ما تكون كثيرة وغالباً ما تختلف عند التركيب لأسباب نحوية، دلالية، وأحياناً بلاغية. فعندما تقول (قاومهم الأسد) قد لا تقصد الحيوان وإنما تقصد شخصاً شجاعاً شبهته بالأسد.

جـ ـ الكلمة المعجمية: قال «بلومفيلد» بأن النحو المدرسي مخطىء عندما يقول بأن كِتاب، كِتابان، كُتُب... أشكال مختلفة لكلمة واحدة.

ولكن بلومفيلد هو المخطىء هنا كما لاحظ ذلك «لِيُونس»، فالذي يحدد مفهوم العبارة «كلمة» هو المستعمل، وهنا استعملت هذه العبارة بمعنى كلمة معجمية أو (lexème).

فالكلمة المعجمية هي **كلمة مجردة** تأخذ أشكالاً مختلفة حسب تصريفها:

فـ (كتب) كلمة معجمية تأخذ الأشكال: كتبتُ، كتبنا، أَكْتُبُ، نكتُب، اكتُبْ، اكْتبِي، إلخ، حسب التصريف و(كاتب) كلمة معجمية أخرى لها الأشكال: كاتبان، كُتَّاب، كاتبة، كاتبات إلخ...

والفرق بين الكلمة «المعجمية» والكلمة النحوية هو أن هذه «الكلمة المعجمية» شيء مجرد لا يدخل في تركيب الجملة إلا عن طريق شكل من أشكالها، وهذا الشكل هو الذي يسمى بالكلمة النحوية.

٥ ـ تعريف الكلمة

العرض السابق لمفاهيم الكلمة لا يكوّن تعريفاً لها، وإذا اقتصرنا على مفهوم الكلمة كـ:

«وحدة وسيطة تقع بين المورفيم والجملة»

فإنه يمكننا أن نعتمد على تعريف بلومفيلد.

«الكلمة هي أصغر شكل حر (forme libre minimale)»

وهذا التعريف مبني على التمييز بين الشكل المقيد (forme liée)، والشكل الحر (forme libre): فالشكل المقيد هو الشكل الذي لا يمكن أن يظهر وحده في خطاب ومن ذلك أداة التعريف في العربية والضمير المتصل.

والشكل الحر هو الذي يرد وحده في خطاب، ومثاله الضمير، فلو سألك أحد «من فتح الباب»، فبإمكانك أن تجيب: «أنا»، مكوناً خطاباً مستقلاً يحتوي على كلمة واحدة، بينما لا يمكننا القول (تُ)، باستعمال الضمير المتصل الوارد في (فَتَحْتُ).

أما «أصغر» فهو بمعنى التجزيء، فالتعريف الأصلي يوافق التعريف:

الكلمة هي شكل حر لا يقبل التجزيء (إلى كلمات).

فكلمة (البُلْبُلانِ) إذا جزأناها إلى وحدات دالة تعطينا (al + bulbul + āni) ولكن أداة التعريف /al/ والوحدة /āni/ الدالة على التثنية والرفع، لا تكوّن أي منهما كلمة لعدم إمكانية ورودها في خطاب مستقل، فالوحدة (البلبلان) كلمة واحدة بهذا المعنى.

أما في السلسلة (هذا البلبل) فإن كلا من (هذا) و(البلبل) كلمة،

فلو سألك أحد «من غرد»؟ بإمكانك أن تجيب: «البلبل»، أو «هذا» مشيراً إلى البلبل، وفي كل حالة أوردت إحدى الكلمتين في نص مستقل.

ولكن تعريف «بلومفيلد» بالرغم من شيوعه، وإمكانيته تحديد عدد كبير من الكلمات فإنه لا يتلاءم مع ممارسة النحويين.

فلو تأملنا العبارات:

بِالدارِ، فِي المنزلِ، لَعَمْرُكَ، رُبَّ ليلٍ

لرأينا أنها تبدأ بكلمات نحوية هي الحروف، بِـ، في، لَـ، رُبَّ، وهذه الوحدات من الصعب إيرادها منفردة في خطاب مستقل، ففي هذه الحالة هل يعقل أن نعتبر أن (في المنزل) مثلاً كلمة واحدة؟

٦ ـ التماسك الداخلي للكلمة

إن الكلمة كسلسلة من المصوتات وحدة متماسكة ويعبر عن هذا بطريقتين:

أ ـ مبدأ عدم التجزيء

ب ـ مبدأ حركة الموقع

فلو تأملنا الجملة

أهذا رجل أم طفل

وجزأناها كالآتي إلى مورفيمات:

أ	هذا	رجل	أم	طفل	؟
١	٢	٣	٤	٥	

فإنه يمكننا أن نحصل، بتغيير مواقع الفونيمات على:

أ	رجل	هذا	أم	طفل	؟
١	٣	٢	٤	٥	

مما يرينا أن (هذا رجل) تتكون من ثلاث كلمات: أ + هذا + رجل، ويمكننا أيضاً أن نكتب:

أ	هذا	طفل	أم	رجل	؟
١	٢	٥	٤	٣	

مما يظهر لنا أن (أم طفل) تتكون من كلمتين: (أم + طفل)

ولكنه لا يمكن فصل أحد الاسمين عن حركة الإعراب أو نون التنوين فَـ: (رَجُلٌ) وحدة متماسكة مثل (طِفْلٌ) لا يمكن فصل أي مكون من مكوناتها عنها.

ولو رجعنا إلى مثال سابق:

بالدار، في المنزل

فإننا نرى أنه بإمكاننا أن نكتب:

بهذه الدار، في هذا المنزل

أي أننا فصلنا (بـ) عن (الدار) و(في) عن (المنزل) مما يرينا أننا أمام كلمتين في كل حالة:

فالتجزيء يكون إذن بطريقتين:

ـ إما بإدراج عنصر داخل الوحدة.

بالدار   بهذه الدار

ـ أو بتغيير الموقع

أهذا رجل؟   أرجل هذا؟   جاء الصديق   الصديق جاء

وعندما لا يمكن التجزيء ولا تؤدي تغييرات المواقع إلى فصل عناصر الوحدة فإننا نحكم على هذه الوحدة بأنها كلمة.

ولكن في بعض الحالات لا يستطيع أي مقياس من المقاييس السابقة أن يعطي نتيجة مرضية، ففي:

سمعتك   ، سمعنا صوتاً   ، سمع الطفل صوتاً

الضمائر المتصلة لها نفس وظائف الاسم، وقد أعربها القدماء عن حق بطريقة مشابهة للاسم الذي يقابلها، فمن المعقول إذن أن يعد كل منها كلمة مستقلة.

ويقترح بلومفيلد أن تعامل في هذه الحالة كل وحدة معاملة الوحدة التي تقابلها في توزيع ما، فمثلاً أداة التعريف (le) الفرنسية لا تظهر وحدها في خطاب بينما الأداة (un) بإمكانها تكوين خطاب تنفرد به، فهي إذن كلمة. التقابل (le livre/un livre): (الكتاب/كتاب) يقتضي بأن نعامل (le) مثل (un) وأن نعدها كلمة مثلها.

٧ ـ صعوبات تحديد المرفيمات

قد رأينا في الفصول السابقة قضايا تعريف الكلمة وصعوبات تحديدها خلال تقطيع الكلمات، ويظهر لبعض اللسانيين أن هذا المفهوم (الكلمة) غامض وأنه من الأحسن الاستغناء عنه والاكتفاء بمفهوم «المرفيم»، ولكن هذا الأخير، إن كان تعريفه لا يشتكي

عموماً من اللبس فهو عند التطبيق، أي عند عملية التقطيع، يجعل الممارس يلاقي صعوبات كثيرة، وذلك راجع إلى أسباب عدة.

أ ـ المرفيم لا يحترم دوماً مبدأ الخطية

إن المصوتات تتتالى عبر الزمن، وتظهر الواحدة تلو الأخرى حسب مبدإ سميناه الخطية، ولكن المرفيمات لا تحترم دوماً هذا المبدأ، ففي:

لا تخرج ،	ما تخرجش ،	ne sors pas
أخرج ،	أخرج ،	sors

نرى أن النهي جاء في العربية الفصحى بواسطة المرفيم (لا) الذي ورد في بداية الكلام آخذاً موقعاً معيناً، أما في العامية وفي الفرنسية فإنه جاء بواسطة صيغة: جزء منها في بداية الجملة والآخر في نهايتها، فهل هو يتصدر الكلام أم ينهيه؟ لا يمكن الإجابة على هذا وإنما الملاحظ فقط أنه أَخَلَّ بمبدإ الخطية بحيث أننا لا يمكن أن نرتب المرفيمات ترتيباً لا يقبل النقاش.

اللسانيون يسمون هذا النوع من الوحدات: الدال المتقطع (morphème discontinu) أي أنه غير مستمر، ويكتبون هذا الدال (ne ... pas) ولكن عند تقطيعنا للعبارة (ne sors pas) فإننا نكتب (ne - sors - pas) ويوحي هذا بأننا أمام ثلاثة عناصر، وتظهر الكتابة الصوتية عاجزة هنا عن التعبير عن حقيقة التقطيع، فبين كل علامتي حد نحن أمام الإمكانيات الآتية:

- جزء من المرفيم مثل (ne) في: (ne - sors - pas)
- مرفيم واحد

ـ أكثر من مرفيم (سيأتي)

ولو كانت المرفيمات المتقطعة محصورة في بعض وحدات اللغة لهان الأمر، ولكن هذا النوع من المرفيمات يظهر في مناسبات كثيرة، ففيما يلي:

nous sortons	Les chevaux sortent
(نحن نخرج)	(تخرج الأحصنة)
nu - sor - to	/lé/ʃevo sor -t-

نرى أننا عندما نقابل بين (nous sortons): (نحن نخرج) و(je sors: (أنا أخرج)، يظهر لنا مرفيم الجمع في الدال المتقطع: (nous... tons) /nu... to/) ويظهر هذا الجمع في الجملة الأخرى إذا قارناها بـ (le cheval sort: يخرج الحصان) في المرفيم ذي الثلاثة مقاطع (les... aux.. tent) /lé... o... t/

وبإمكاننا إذا أضفنا نعوتاً وأفعالاً أخرى لهذه الجملة أن نزيد في عدد مقاطع المرفيم.

ب ـ قد يشترك مرفيمان في صورة واحدة.

إذا قارنا بين:

je parle de la mère ،	je parle du père ،	je parle de l'homme
أتكلم عن الأم	أتكلم عن الأب	أتكلم عن الرجل

فإننا نرى أن ما يقابل de + la (عن + الـ):

عند المذكر هو قياساً (de + le) ولكنه ظهر هنا على أحد الشكلين (de + l) أو (du) فالدال الوحيد (du) صورة لدالين

متتابعين (de + le)، ونرى أننا أمام مورفيمين مشتركين في صورة واحدة، نقول إننا أمام «إدْمَاج» (amalgame). والإدماج لا يقتصر على هذا النوع من الإدغام الصوتي ولكنه يظهر في تعدد معاني المدلول حتى إن لم يكن هناك تغيير صوتي، ففي:

aimons — sortons — marchons

التابعة (ons-) تدل في نفس الوقت على المتكلم والجمع والزمن، فهي بهذا صورة واحدة لأكثر من مدلول.

والإدماج مثلَ ظاهرة التقطع في المرفيم لا يتلاءم مع مفهوم الخطية، إذ أنه لا يمكن في القطعة التي تظهر فيها عدة مرفيمات أن يجري ترتيب لها فيقال: هذا هو الأول، وهذا هو الثاني، إلخ...

جـ ـ قد لا يملك المرفيم صورة صوتية:

إذا قارنا بين التقابلات الآتية:

tu dors — dors — tu sors —

sors — tu écris — écris —

تَنَامُ   نَم   تَخْرُجُ   أخْرُجْ   تَكْتُبُ   أُكْتُبْ

فإننا نرى أن الأمر في الفرنسية يعبر عنه بحذف الضمير أمام الفعل. فالمرفيم المكون من دال ومدلول هو مكون إذن من دال = ...، ومدلول = الأمر

يقول اللغويون أن المرفيم في هذه الحالة هو المرفيم صفر.

٨ ـ تعدد أشكال المرفيم

إذا قارنا بين أشكال الفعل (مدّ) في:

أنا مَدَدْتُ	أنتما مددتما	أنتم مددتم
هو مَدَّ	هما مَدَّا	هم مَدّوا

فإننا نرى أنه أخذ أحد الشكلين /madad/، /madd/، لدينا إذن شكلان لِمَدْلول واحد. نقول إننا أمام **مترادفين شكليين** (allomorphes)، أي أمام صيغتين لمرفيم واحد، مثلما لحرف الراء في العربية صيغتان (تأدية مرققة وتأدية مفخمة).

وقياساً بالمنهجية المتبعة عند الدراسة الصوتية التي استعملت المصطلحات allophone، phonème فإننا سنستعمل كلمة (مرفيم) للدلالة على الوحدة المجردة التي تأدياتها هي مختلف المترادفات.

والتقابل بين مصطلحات المستويين يكون كالآتي:

فونيم phonème	الصوت sons	المرادف الصوتي allophone
مرفيم morphème	الشكل morphe	المرادف الشكلي allomorphe

وفي هذه الحالة نقول إننا أمام مرفيم واحد مدلوله (مَدَّ في الماضي)، وأن هذا المرفيم يأخذ حسب إسناده للضمير، أحد الأشكال (مَدّ، مَدَدْ) ودراسة تعدد أشكال الدال بالنسبة للمرفيم الواحد هي من ميدان الصرف.

٩ ـ علاقة المرفيم بالكلمة

إن الكلمة تتركب من مرفيمات، وطريقة هذا التركيب تجعلنا أمام أوضاع مختلفة.

أ ـ الكلمة قد تحتوي على مرفيم واحد مثل: مِنْ، عَلَى، فَوْقَ، تَحْتَ، اَلْـ.

وفي هذه الحالة تتطابق الكلمة مع المرفيم.

ب ـ الكلمة قد تحتوي على أكثر من مرفيم، وتكون هذه الوحدات متتالية بطريقة خطية مثل: الكتاب، خرجْتُ، سمعتهم، مُسْلِمات، مُسْلِمُون.

جـ ـ الكلمة قد تحتوي على أكثر من مرفيم، وتكون الوحدات متداخلة بعضها في بعض مثل:

رجال، أحصنة، طيور، مكاتب.

فهذه الكلمات تحمل كلها معنى الجمع، وإذا قارنا بين (المسلم والمسلمون)، (المسلمة والمسلمات)، (المكتب والمكاتب). فإننا نرى أن في حالتي جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم يمكن عزل مرفيم دال على الجمع في آخر الكلمة (ـُونَ، ـَاتُ) بينما تتعذر هذه العملية في جمع التكسير، هل هذا معناه أن مرفيم الجمع غائب؟ بالطبع لا، لأن مدلوله وارد ولكن شكله لم يعبر عنه بطريقة خطية.

ولو أجرينا المقارنات الآتية:

أ: أكثر ذكاء	أكثر حسناً	أكثر قوة
ب: أذكى	أحسن	أقوى

لرأينا أن التفضيل عبر عنه بواسطة خطية في (أ) بينما التعبير عنه في (ب) جاء بطريقة مدمجة.

١٠ ـ أنواع اللغات

من خلال العلاقة التركيبية التي تربط المرفيم بالكلمة يمكن تصنيف اللغات تصنيفاً هيكلياً إلى لغات تحليلية، إلصاقية، إدماجية.

أ ـ فاللغات التحليلية (langues analytiques) أو **العَازِلَة** (isolantes) هي لغات كل مرفيم فيها كلمة، وكل كلمة فيها ثابتة، ومن هذه اللغات: الصينية واليابانية.

ولكن تطابق الكلمات مع المرفيمات ليس دوماً شاملاً، وتكون إذن خاصية العزل في لغة ما قضية نِسبية. فالحالة المثلى هي أن يكون عدد المرفيمات يساوي عدد الكلمات أي أن يكون لدينا:

$$\frac{\text{عدد المرفيمات}}{\text{عدد الكلمات}} = \text{ك} = ١$$

وقد أجريت إحصائيات في بعض اللغات على بعض النصوص فكانت النتيجة كالآتي:

ك = ١,٦٨ في الإنجليزية

ك = ٢,٥٩ في السنسكريتية

ك = ٣,٧٢ في لغة الإسكيمو بالقطب الشمالي

مما يرينا أن الإنجليزية أكثر تحليلية من السنسكريتية. وأن لغة الإسكيمو تمتاز بطابعها التركيبي (synthétique) أو (التجميعي).

ب ـ اللغات الإلصاقية: هي لغات تكون فيها الكلمات مركبة من

مرفيمات متتالية، بحيث يكون لكل مرفيم صيغة واحدة خاصة به، يعني أن الدال لا يكون متقطعاً أو مدمجاً في آخر، فالتركية هي اللغة الإلصاقية المثلى.

لننظر إلى الجدول التالي:

تركية	ev	evi	evier	evieri
عربية	منزل	منزلي	منازل	منازلي
فرنسية	maison	ma maison	maisons	mes maisons

في هذا المثال نرى كيف تعاملت اللغة التركية مع المرفيمات الآتية /ev/ (منزل)، /i/ (النسبة) ier (الجمع)، فهي جعلت في كل مرة هذه المرفيمات تتجاور لتكوين الكلمات بينما نرى أن العربية جاورت أحياناً بين المرفيمات وأحياناً غيرت من أشكال الكلمات.

أما في الفرنسية فإن النسبة عبر عنها في المفرد بـ ma وفي الجمع بـ mes

ونرى أن مرفيم الجمع في التركية عبر عنه بطريقة خطية بينما العربية أدمجته في الاسم (جمع التكسير) والفرنسية أدمجته في أداة النسبة.

جـ ـ اللغات التصريفية أم الإدماجية

في اللغات التصريفية الكلمات تغير أشكالها بطريقة غير خطية وبدمج صور المرفيمات بعضها في بعض، وأحسن مثال لهذا في العربية، هو جمع التكسير إذا قارناه بجمع المذكر السالم.

واللغات التي تعتبر تصريفية هي اللاتينية واليونانية. ولكن انتساب اللغات إلى أحد الأصناف لا يتم إلا بالمقارنة، إذ أن كل

اللغات تحليلية وتركيبية وتصريفية في آن واحد، وذلك لأن كلماتها على الأنواع الثلاثة: فبعضها مرفيم واحد، وبعضها تركيب خطي لمرفيمات، وبعضها فيه إدماج لصيغ المرفيمات. وعليه فإن التقرير بأن لغة ما تحليلية أو تركيبية أو تصريفية لا يتم إلا بمقارنتها بلغات أخرى واكتشاف اتجاهها نحو أحد الأقطاب الثلاثة.

١١ ـ هل العربية لغة تصريفية؟

لنتأمل النص الآتي:

«الزرافة... موطنها إفريقيا... وهي أطول حيوانات الغابة، تساعدها رقبتها الطويلة على الوصول إلى قمم الأشجار لتأكل غذاءها المفضل من الأوراق الطرية»

يمكن تصنيف كلمات هذا النص إلى:

١ ـ كلمات بسيطة تحتوي كل واحدة منها على مرفيم واحد مثل: و، هي، على، إلى، من، إفريقيا. وهذه الكلمات معظمها حروف وأدوات.

٢ ـ كلمات مركبة بصفة خطية مثل:

(حيوانات) (hayawānā-at-i) المكونة من الاسم + علامة الجمع + علامة الإعراب.

(تأكل) (ta- ’kul-a) المكونة من حرف المضارعة + الفعل + حركة الإعراب.

٣ ـ كلمات مركبة بصفة إدماجية مثل:

(أطول) التي تعني (أكثر طولاً) وهي تحتوي على صيغة التفضيل المعبر عنها بطريقة غير خطية.

ـ (قمم، أوراق، أشجار)، حيث مرفيم الجمع لا يملك شكلاً ينفرد به.

ـ (مُفضَّل)، حيث إسم المفعول معبر عنه بالسابقة (مـُ) وفتحة حرف العين (ضـَ).

ـ تُساعد حيث الوزن (تُفاعل) معبر عنه بالمد وبضمة التاء وحيث الزمن (المضارع) معبر عنه بواسطة التاء وحيث البناء للمعلوم معبر عنه بواسطة كسرة العين.

ومن خلال هذا المثال البسيط نرى أن للعربية الاتجاهات الثلاثة (العزل والتركيب والإدماج)، فنسبة عدد المرفيمات على عدد الكلمات في النص السابق لا تفوق ١٧ مما يجعل تحليلية العربية مرتفعة بصفة غير ملحوظة.

ولكن الذي تمتاز به العربية هو الاشتقاق بواسطة الوزن فمن المادة (وطن) كونا (مَوْطِن) على وزن (مَفْعِل)، ومن (طول) أنتجنا صيغة التفضيل (أَطْوَل) على وزن (أَفْعَل) ومن (وصل) المصدر (وُصُول) على وزن (فُعُول) ومن (فضل) المزيد (فَضَّل) ثم اسم المفعول (مُفَضَّل). كل هذه العمليات تتم بطريقة إدماجية.

ولعل هذه الطريقة في إنتاج المفردات هي التي جعلت لغتنا تصنف ضمن اللغات الإدماجية.

١٢ ـ مفهوم الوزن

مفهوم الوزن الذي نتعامل معه في العربية، والذي لا يمكن أن نستغني عنه في تحاليلنا للكلمات، منذ أن نَظَّرَهَ الخليل، مبني على خصائص في لغتنا نذكر من بينها:

- بناء المفردات على أساس هيكل الكلمة.

- الدور الرئيسي الذي يلعبه الحرف حيث أنه يمتاز بالثبات في عمليتي الاشتقاق والتصريف، بينما تلعب الحركة دور المتغير الذي بواسطته تتغير المدلولات.

- الاتجاه القياسي القوي لمباني كلمات العربية...

- الطبيعة التصريفية للغة العربية.

كل هذا (وربما عناصر أخرى) جعلت الوزن طبيعي الاستعمال وضرورياً في التعامل مع المستوى الصرفي وأحياناً التركيبي.

لنتأكد من هذا بالمقارنة بين العربية ولغة أخرى (الفرنسية) فالكلمة (ouvrir) يقابلها في المعنى (فتح) بالعربية. القائمتان:

(١) entrouvrir, réouvrir, ouvrir

(٢) فتح، فتَّح، تفتَّح، انفتح، فاتح، استفتح، افتتح.

ترينا أن ما تنتجه العربية من أفعال أصلها (فتح) يفوق بالكثير ما تنتج (ouvrir) الفرنسية، إضافة إلى هذا فإن الإنتاج في العربية يغير من الشكل بينما يجري في الفرنسية بطريقة خطية والقوائم الآتية:

poser	tenir	prendre	voir	ouvrir
reposer	retenir	reprendre	revoir	réouvrir
entreposer	entretenir	entreprendre	entrevoir	entrouvrir

ترينا أن هناك مرفيماً (re) معناه إعادة الفعل و(entre) الذي يملك معاني مختلفة. وهذا يؤكد خطية الفرنسية إذا قارناها بالعربية، وإذا نظرنا إلى اسم الفاعل بالنسبة إلى هذه الوحدات فإن تقطيعه الآتي:

pos-eur, pre-neur, voy-ant, ouvr-eur

يرينا أنه ينتج بإضافة لاحقة (eur) أو (ant) في نهاية الكلمة، أما المصدر فإنه غير قياسي كما يتبين من الجدول:

pose	?	prise	vue	ouverture
entrepot	entretient	entreprise	entrevue	entrouverture

وهذا يرينا أن الفرنسية تنتج فيها الكلمات إما:

- بطريقة مقننة وتكون خطية (إضافة سوابق أو لواحق)
- أو بطريقة غير مقننة، وتكون عشوائية

أما العلاقة بين الأفعال المجردة:

poser	tenir	prendre	voir	ouvrir
وضع	شد	أخذ	نظر	فتح

فإنها ليست مبنية على عدد الحروف وتطابق الحركات فالكتابة الصوتية لجذور الأفعال:

pos(er)	ten(ir)	prend(re)	v(oir)	ouvr(ir)
/poz/	/ten/	/prẽd/	/v/	/uvr/

ترينا أن عدد الحروف يتغير وأن الحركات تتوزع على هذه الحروف بطريقة عشوائية، وبالتالي فإنه من المستحيل ربط هذه الأشكال بأي قالب وزني.

١٣ ـ تعريف الوزن

من السهل والصعب في آن واحد إعطاء تعريف للوزن في العربية فإذا نظرنا إلى القوائم:

اسْتَحْسَنَ	حَسَّنَ	أَحْسَنَ	تَحَسَّنَ
استمسك	مسّك	أمسك	تمسك
استسلم	سلّم	أسلم	تسلم
استمتع	متع	أمتع	تمتع

فإننا نرى أن الأوزان: اسْتَفْعَلَ، فَعَّلَ، أَفْعَلَ، تَفَعَّلَ، تُمَثَّلُ في هذه القوائم. هذا النوع من القوائم يسمى (paradigme).

وإذا بحثنا عن العلاقات التي تربط بين وحدات هذه القوائم فإننا نرى أنها

أ ـ **شكلية** (صوتية)، فكلمات قائمة (اسْتَفْعَلَ) تحمل السابقة (اسْتَـ) في بدايتها، ولا تفصل بين فائها وعينها حركة، أما العين فإنها متبوعة بالفتحة (في المعلوم).

ب ـ **نحوية** فالوزن ينتج الفعل، والمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغة التفضيل، أي أنه، ينتج أجزاء من الخطاب.

جـ ـ دلالية، فللأوزان معان معروفة (التعدي، المطاوعة...).

١٤ ـ الوزن من ناحية التحليل

بواسطة الوزن يمكننا أن نحلل الكلمات أو ننتجها.

فعلى المستوى التحليلي تعرض علينا كلمات مثل:

اعشوشب، انبسط، انتهج، ابتهج، استعلى، استفعل.

وعلينا أن نكتشف في آن واحد الوزن، والجذر، وكأن الكلمة (المعجمية) في العربية مكونة من جذر ووزن:

كلمة معجمية = وزن + جذر (١)

اعشوشب = افعوعل + عشب (٢)

انبسط = انفعل + بسط (٣)

فاكتشاف الوزن والجذر بصفة صريحة أو لاشعورية يخدم أغراضاً مختلفة من بينها:

إدراك معنى الكلمة، أو الإلمام به، أو تحليل معناه، فالذي يقرأ: (اغْشَوْشَبَ السَّهْلُ) يدرك من خلال المعادلة (٢) معنى الفعل، وإن لم يكن مطلعاً عليه من قبل. أما في (انتهج وابتهج) فالتحليل.

انتهج = افتعل + نهج (٤)

ابتهج = افتعل + بهج (٥)

يرينا أن الفعل الأول له علاقة بالنهج (الطريق) والثاني بالبهجة (السرور)، ولو كانت العربية لغة تحليلية خطية لأدانا تطابق الحروف الثلاثة الأخيرة إلى التحليلين.

انتهج = انـ + تهج (٦)

ابتهج = ابـ + تهج (٧)

ويكون الفرق بين الكلمتين في السابقة، ولكن العربية لغة تصريفية لا تتعامل دوماً مع تركيب المرفيمات بواسطة الإضافة وهنا لا يجوز أحد من التحليلين، والجدير بالملاحظة أن عدم صلاحية التحليل الأول راجع إلى أسباب معجمية أي أسباب الاستعمال.

فالتحليل: (انتهج = انفعل + تهج) مقبول من الناحية الشكلية ولكنه مرفوض لكون الكلمة (تهج) مهملة في المعجم العربي.

أما التحليل (ابتهج = ابفعل + تهج) فهو مرفوض من الناحية الشكلية لأن الباء ليست من الحروف التي يكوّن بواسطتها المزيد، فهذه الحروف معروفة هي الألف، والتاء، والسين، والنون، والواو. . .

ب ـ معرفة الوزن تساعد في عمليتي الاشتقاق والتصريف، المفردتان (اسْتَعْلَى وَاسْتَفَلَ) مستعملتان في الصوتيات، ومصدر الأولى يدل على الأصوات التي يكون فيها وضع جزء من اللسان مرتفعاً عند النطق (وهي الخاء والغين والقاف والحروف المفخمة)، بينما يدل مصدر الثانية على الصفة العكسية، وكثيراً ما كنا نسمع الطلبة يقولون: استعلاء، استفلاء.

وذلك لتوهمهم أن الوزن واحد وهو (استفعل)، ولكن شيئاً من التدقيق يكفي للانتباه لكون التحليل الصحيح هو:

استعلى = استفعل + علا (مثل استدعى)

استفل = افتعل + سفل (سفل بمعنى نزل)

ومنه الاشتقاقات الصحيحة:

استعلى، يستعلي، استعلاء

استفل، يستفل، استفالاً واستفالة

(جـ) الغرض الثالث الذي يخدمه تحليل الكلمة إلى وزن وجذر هو **البحث عن الكلمة في المعجم**، فمعاجمنا العربية، وخصوصاً منها القديمة، مرتبة حسب أصول الكلمات، والصعوبات التي يتلقاها طلابنا عند البحث عن الكلمات في المعاجم هي أحسن دليل على أن عملية تحليل الكلمات العربية إلى

وزن وجذر ليست بالسهلة لغير المتدرب عليها. ومن أجل تفادي هذه الصعوبات، ظهرت في السنوات الأخيرة قواميس أبجدية للعربية عيبها الوحيد أنها، بعزلها للكلمة، تحرم القارىء من متعة التطلع على ما يجاور هذه الكلمة من مشتقات، هذا التطلع الذي يثري بدون شك الرصيد اللغوي لكل من تعود على استعمال المعاجم.

١٥ ـ الوزن كتطبيق على جذور الكلمات

من ناحية الإنتاج فإنه بإمكاننا أن نكتب:

وزن + جذر ← كلمة (١)

ويظهر من خلال هذا أن الوزن شبيه بعامل يؤثر على الجذر فيحدث الكلمة:

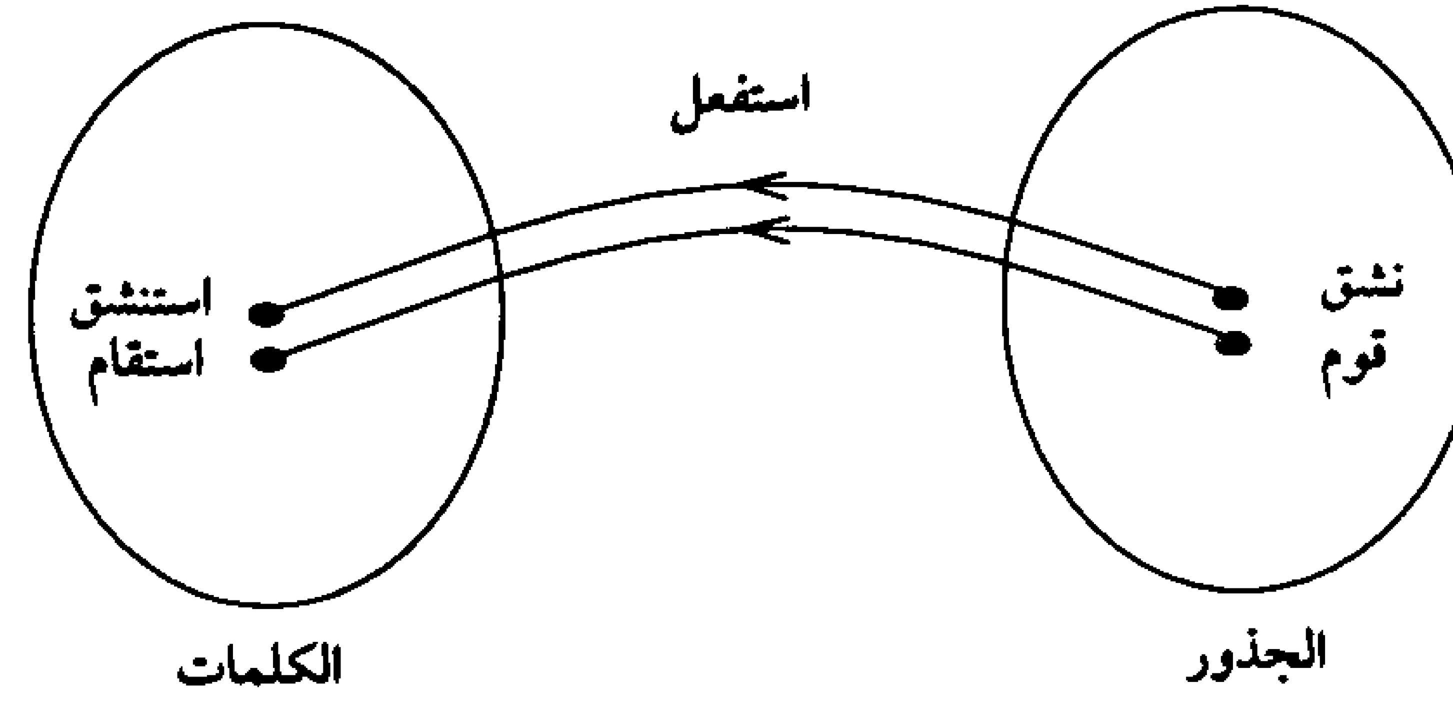
استفعل + فتح ← استفتح (٢)

ويمكن كتابة القاعدتين (١)، (٢) كما يلي:

$$\text{جذر} \xrightarrow{\text{وزن}} \text{كلمة}$$ (٣)

$$\text{فتح} \xrightarrow{\text{استفعل}} \text{استفتح}$$ (٤)

وهكذا فإنه يتضح لنا أن كل وزن هو دالة من مجموعة الجذور نحو مجموعة الكلمات:



ومجال تعريف هذه الدالة هو مجموعة الجذور التي تؤدي إلى كلمة مستعملة من مجموعة ما.

١٦ ـ الوزن كمجموعة من القواعد

الوزن يظهر أيضاً كمجموعة من القواعد مطبقة على الجذر:

فـ (استفعل) يمكن التعبير عنه بمجموعة الأوامر التالية:

١ ـ أضف السابقة (اسْتَـ) إلى الجذر (ف، ع، ل).

٢ ـ أضف فتحة إلى عين الفعل.

٣ ـ أضف فتحة للام الفعل (هذه القاعدة غير لازمة لأنها خاصة ببناء الماضي وهي من ميدان النحو)...

أما (فاعَلَ) فقواعده، هي كالآتي:

١ ـ إضافة فتحة ممدودة إلى فاء الفعل (فعل ← فَاعل)

٢ ـ إضافة فتحة إلى عين الفعل (فاعل ← فاعَل)

٣ ـ إضافة فتحة إلى لام الفعل (فَاعل ← فَاعَلَ)

لننظر الآن إلى الوزن (افتعل) ولنطبقه على (قرب)، وللتوضيح

سنستعمل الكتابة الصوتية.

١ ـ إضافة التاء المتحركة بالفتحة بعد فاء الفعل.

qrb → qtarb

٢ ـ تحريك عين الفعل بالفتحة.

qtarb → qt arab

٣ ـ تحريك اللام بالفتحة:

qtarab → qataraba

٤ ـ إضافة همزة وصل في بداية الكلام لتفادي الابتداء بالساكن:

qtaraba → iqtaraba

فالكتابة الصوتية ترينا كيف انتقلنا عبر المراحل الآتية:

qrb → qtarb → qtarab → qtaraba → iqtaraba

من ثلاثية من الحروف (qrb) لا يمكن النطق بها، إلى الصورة الصوتية للكلمة. ويخيل للقارىء أن قواعد تطبيق الوزن بسيطة، ولكن طبيعة الحروف التي تكوّن الجذر قد تجعلنا نضيف قواعد فونولوجية تكون أحياناً معقدة. ففي حالة: افتعل + صلح ← اصطلح

يلزمنا إضافة قواعد خاصة بتفخيم التاء.

وفي حالة: افتعل + أخذ ← اتخذ.

يلزمنا إضافة القواعد التي تدغم فاء الفعل في التاء، وهلم جرّا.

١٧ ـ الوزن كقضية منطقية مفتوحة

فاء، وعين، ولام الفعل، حروف تلعب دور المجهول بحيث

أنه يمكن كتابة الأوزان كالتالي:

(فاعل): fā‘ala = xāyaza

(انفعل): infā‘ala = inxayazа

(افتعل): ifta‘ala = ixtayaza إلخ . . .

كل سلسلة مما مضى تحتوي على ثلاثة مجاهيل فاء، عين، لام أو x, y, z، وهذا يشبه كثيراً ما يسميه المنطقيون **بالقضية المفتوحة**. فالقضايا المنطقية هي مثل:

س + ١ < ١٠ ص (١)

س يقسم ص (٢)

س أكبر سناً من ص (٣)

فهذه القضايا لا تأخذ معنى إلا إذا عوض المتغير بما يلائم القضية. فبإمكاننا أن نعوض في (٣) المتغير (س) بـ (مصطفى) والمتغير (ص) بـ (خالد) فنحصل على: مصطفى أكبر من خالد

بينما إذا أجرينا هذا التعويض في (١) فإن ما نتحصل عليه، هو:

مصطفى + ١ < ١٠ خالد

وهي عبارة لا معنى لها.

فذلك الوزن، لكي يكتسب معنى، يلزم أن تعوض الفاء والعين واللام بما يليق من الرموز.

فالعناصر التي تعطي للوزن معنى هي صوامت اللغة العربية أي حروفها (باستثناء حروف المد).

بعد التعويض، العبارة التي أصبحت قضية منطقية «قد تصبح

صادقة أو خاطئة»، والصدق هنا يرادف «المستعمل»، والخطأ يرادف «المهمل».

من أجل (خ، ر، ج) يعطينا (انفعل) الكلمة (انخرج) التي هي مهملة وبمثابة القضية الخاطئة، أما من أجل (ف، ت، ح) فإننا نتحصل على (انفتح) التي هي بمثابة القضية الصادقة، إذن فالوزن يمكن تعريفه كالآتي:

«الوزن قضية مفتوحة متغيراتها تنتمي إلى الحروف العربية وقيمة صدقها هي انتماء الكلمات إلى معجم اللغة».

١٨ ـ الوزن كمرفيم

لقد نظرنا إلى الوزن من الناحية الصورية، لندرسه الآن من الجانب اللغوي ولنقابل بين الكلمات:

انكسر	انفتح	انقسم	امحى	انبسط	انطوى
se casser	s'ouvrir	se deviser	s'effacer	se regouir	se replier

نلاحظ أن المفردات الفرنسية مسبوقة كلها بالكلمة (se) التي هي مرفيم، ومقابلاتها العربية تتصدرها السابقة «انـ» /in/، ولا يمكن لنا في هذه الحالة إلا اعتبار هذه السابقة كدال لغوي لمرفيم مدلوله هنا المطاوعة.

ولكن إضافة السابقة (انـ) لفعل ما، وتطبيق الوزن (انفعل) عليه، شيء واحد. بحيث أن هذا يقودنا إلى اعتبار أوزان العربية مرفيمات. ولنحاول تحليل بعضها:

انكسر /inkasara/: هنا يظهر أن التقسيم هو الآتي:

انـ + كسر /kasara/ + /in/.

كاتب /kataba/: هل نعتبر أننا أمام المرفيم (كَتَبَ) /kātaba/ ومرفيم شكله المد (أي أنه عنصر نغمي؟).

ـ استفسر: /istafsara/ هل نعتبر أننا أمام المرفيم فَسَرَ (fasara) الذي أضيفت له السابقة /ista/: فأعطتنا (استفسَرَ istafsara) ثم حذفت حركة الفاء (istafasara ↛ istafsara).

ويكون في هذه الحالة مرفيم الوزن مكوناً من:

ـ سابقة است ista

ـ وقاعدة حذف حركة الفاء

وفي هذه الطريقة تعقيد، وهذا التعقيد سيزداد، لو نظرنا إلى أوزان مثل: (افتعل وتفعل وافعوعل) أو لو نظرنا إلى البناء للمجهول.

وهذا التعقيد آت من نظرتنا إلى الجذر كعنصر ذي حروف وحركات، منطوق بصفة متواصلة.

لننظر الآن إلى الجذر كسلسلة من الصوامت دون حركات، فيكون تحليلنا كالآتي:

(انكسر) inkasara مكون من المرفيم الوزني ذي الدال المتقطع (in. a. a.) والجذر المكون من حروف غير مرفوقة بحركات ك ـ س ـ ر /k - s - r/.

ـ (كاتَبَ) مكون من المرفيم الوزني ذي الدال المتقطع: /ā - a - a/ والجذر ك ـ ت ـ ب /k.t.b./.

ـ (استفسر) مكون من /ista..a.a/ و /fsr/ إلخ...

هذا النظر إلى الوزن، كمرفيم له دال متقطع وجذر مكون من صوامت فقط، يبسط الأمور، ويساير التصور التقليدي، وبالفعل فإن الكتابة:

فاعل = fā‘ala = ā.a.a

انفعل = infa‘ala = in.a.a.a

افتعل = ifta‘ala = i.ta.a.a

ترينا أن الوزن هو فعلاً مرفيم ذو دال متقطع وأن أماكن الانقطاع هي الحروف ف، ع، ل.

١٩ ـ الكلمة في العربية

إن تعريف الوزن كما أوردناه سيكون له أثر كبير في تعريف الكلمة العربية، فالكلمة عندنا مشتقة وجامدة، والمشتقة مقرونة دوماً بوزنها، وفي هذه الحالة تكون الكلمة قابلة على الأقل لتجزيئين: من جهة الوزن، ومن جهة الجذر:

وهذا التقسيم طبيعي، ففي ما يلي:

Chanteur	joueur	directeur	conducteur	travailleur
مُغَن	لاعب	مدير	سائق	عامل

نرى أن الفرنسية استعملت اللاحقة (eur) للدلالة على اسم الفاعل بينما استعملت العربية الوزن.

فمن الطبيعي إذا كتبنا:

travailleur = travaill + eur

أن نكتب: عامل = الوزن فاعل + الجذر (ع م ل).

ولكن اللغات في معظمها لا تستعمل دوماً الاشتقاق في إنتاج مفرداتها وفي حالة عدم بروز مكونات الكلمة، من سوابق ولواحق، لا يجري عادة التجزيء.

ففي الفعل الفرنسي frapper (ضرب) مثلاً مرفيم واحد. أفَلَيس من التعقيد أن نكتب أن المقابل العربي (ضرب) يُجزأ كالآتي:

ضرب = الوزن فَعَلَ + الجذر (ض ر ب) لماذا لا نعدها مرفيماً واحداً: (ضرب ḍaraba) مكوناً من حروف وحركات؟

الجواب على هذا بسيط، وهو أننا إذا قابلنا بين الجملتين:

ضَرَبَ زيدٌ ، ضُرب زيدٌ

فلا شيء يميز بين اختلاف المعنيين إلا وزن المعلوم ووزن المجهول للفعل (ضرب)، ومنه فإن كلمة (ضَرَبَ) تحتوي على جذر وعلى مرفيم من بين معانيه:

«البناء للمعلوم»، وشكله هو الدال المتقطع في (فَعَلَ).

أما في الفرنسية فإن التقابل (بناء للمعلوم < - > بناء للمجهول) لا يعبر عنه بطريقة صرفية وإنما بواسطة أداة مساعدة تَرْكِيبِيَّةٍ

est frappé <------> frappe

لكل لغة خصائصها وللعربية خاصيتها المتمثلة في القوة الإنتاجية لصرفها، ومن الطبيعي أن تكون لهذه الخصائص طرق متميزة في التحليل.

٢٠ ـ هل الأصل في الكلمة هو الفعل أم المصدر

اختلف القدماء في أصل الاشتقاق، هل هو الفعل أم المصدر؟

والجواب على هذا هو أن الأصل ليس المصدر ولا الفعل وإنما هو المادة المعجمية. أي سلسلة الحروف الصامتة التي ينطبق عليها الوزن، وهذه السلسلة، وحدة مجردة لا تملك صورة صوتية خطية ولا وظيفة نحوية، فلا تستطيع أن تنتمي إلى أجزاء الكلم: فلا هي فعل، ولا اسم ، ولا حرف.

وإنما أرادوا اختيار الأصل انطلاقاً من كلمة ذات صورة صوتية، وذات وظيفة نحوية: أي كلمة من ميدان التحقيق. فكان لكل اختيار إيجابياته وسلبياته.

فعندما تقول أصل الاستقالة هو الفعل (قال) فإنك لا تميز بين (قال يقول) و (قال يقيل) ففي الفعل لا تظهر كل الحروف الأصلية أما المصدر فإنه يظهر الحروف التي أخفيت في الفعل (القول) و(القيلولة) تظهر العين الأصلية، ولكن المصدر يحتوي في كثير من الأحيان على حروف زائدة تجعله بعيداً عن الأصل.

وفي الحقيقة فإنه ليس من المهم أن يكون المصدر أقرب إلى الأصل أم الفعل أقرب، وليس من الضروري البحث عن الأصل ضمن العناصر القريبة من الواقع اللغوي، ففي معظم الأنظمة اللغوية تستعمل عناصر مجردة، ففي العروض مثلاً كثير من الأصول مهملة، وحتى ما يظنه القارىء مستعملاً فهو غير مستعمل أحياناً فعندما نقول إن وزن الطويل هو:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ، فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

فهذا الوزن غير مستعمل على هذا الشكل (إلاّ في حالات التصريع في الطويل الأول) وذلك لأن آخر تفعيلة تَأْتِي مَقْبُوضَةً وجوباً أي على الشكل (مفاعلن).

ويلزم أن يفهم من الأصل في عمليات التحويل اللغوي أنه غالباً عنصر مجرد، أو باستعمال تعبير التحويليين، عنصر من البنية العميقة.

٢١ ـ لماذا لا يصلح أن تكون الألف من أصل الكلمة؟

من المعروف أن الألف لا تصلح أن تكون من أصل الكلمات (فقال) أصلها (قول) أو (قيل) و(رمى) أصلها (رمي) و(سما) أصلها (سَمَو).

وفي الحقيقة، إن حروف المد كلها لا تصلح أن تكون عناصر من هذا الأصل، لأن المد هو عنصر من النغم أي أنه صفة في الحركة السابقة له، فهو إذن قادر أن ينتمي إلى الوزن (انظر فاعل) ولكنه لا ينتمي إلى الجذر.

ولكن لماذا يقال إن الألف لا تصلح أن تكون عنصراً من الجذر ولا يقال هذا عن الواو والياء اللتين هما أيضاً حرفا مدٍ؟ الجواب على هذا هو أن الواو المستعملة في الجذر هي الفونيم (و) أي الحرف نصف الصائتي المعروف الذي يشبه باقي الحروف، والذي يظهر في (وَثَبَ، نَوْمٌ، سُمُوّ)، وكذلك الشأن بالنسبة للياء، فإنها تظهر في (يقظ، سَيْلٌ، غَنِيٌّ) وهي في الجذر حرف وليست مداً.

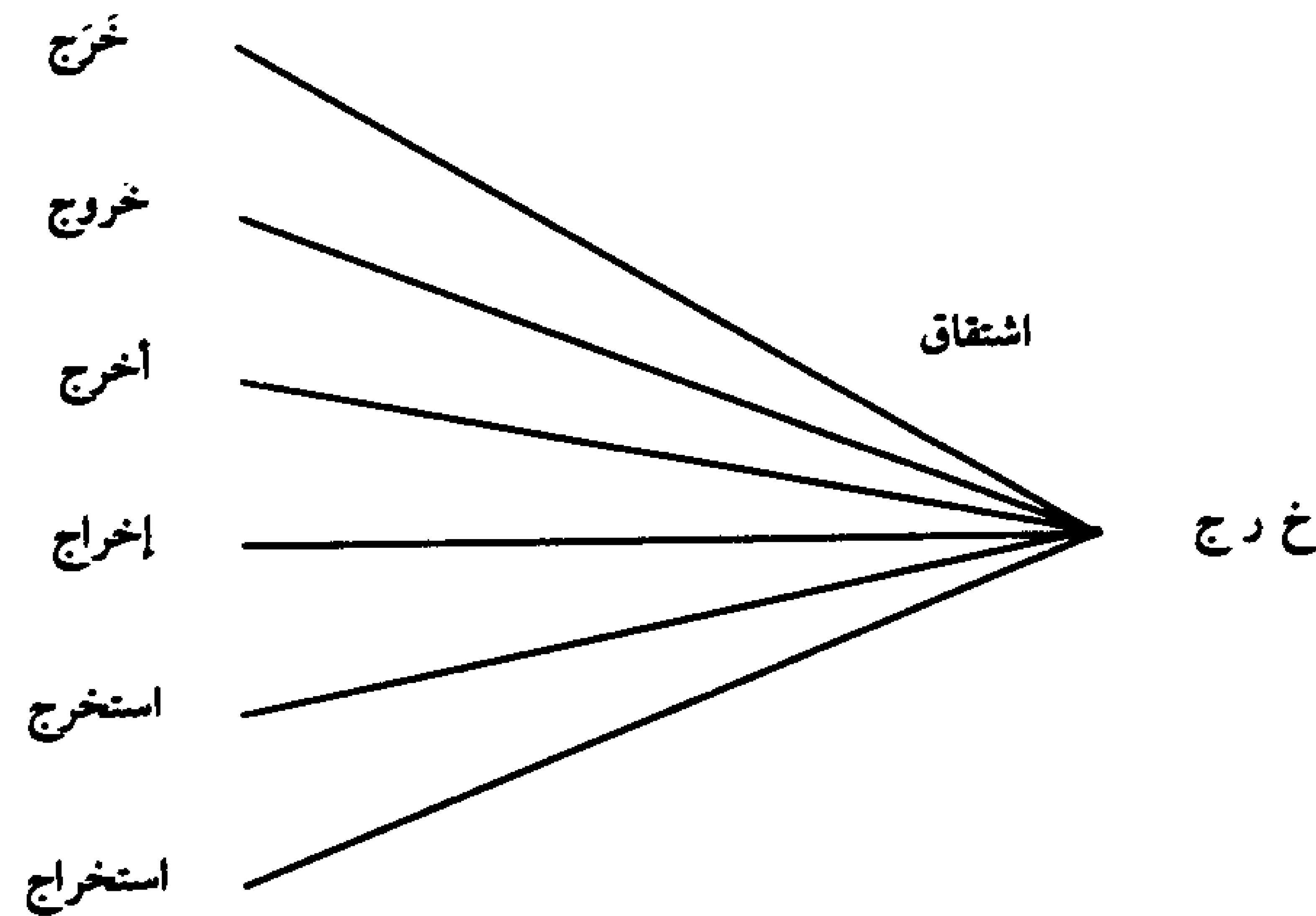
ولقد خصوا بالكلام الألف لأن واو المد وياء المد يقابلهما في الإملاء حرفان حقيقيان بينما لا يقابل الألف أيُّ حرف صوتي فالألف تستعمل في الخط للدلالة على تمديد الفتحة التي قبلها فقط، كما أنها تستعمل كرمز إملائي يحمل الهمزة، ولكنها لا تمثل بأي حال من الأحوال صوتاً مستقلاً.

٢٢ ـ أنواع الكلمات المعجمية

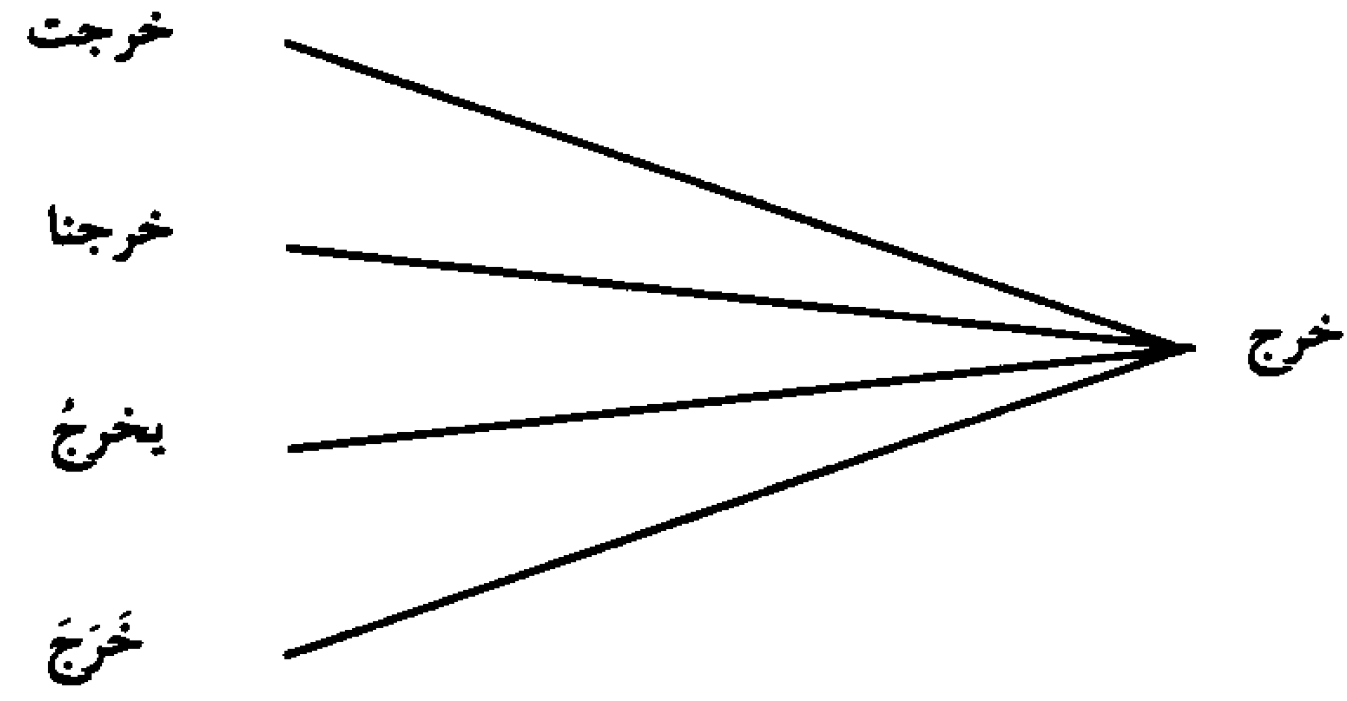
قد رأينا أن الكلمة على ثلاثة أنواع: كلمة صوتية، وكلمة نحوية، وكلمة معجمية.

والكلمة المعجمية هي الفعل الذي يأخذ أشكالاً مختلفة عند اقترانه بالزمن وإسناده للضمير، وهي الإسم الذي يأخذ أشكالاً مختلفة عند التأنيث، والتثنية والجمع، وبصفة مبسطة فإن الكلمة المعجمية هي التي تكون مدخلاً في القاموس.

ولكن العربية تستعمل مداخل أخرى هي جذور الكلمات، ويمكن اعتبار هذه الجذور أنواعاً من الكلمات المعجمية بحيث يكون لدينا: مرحلة الاشتقاق الأولى



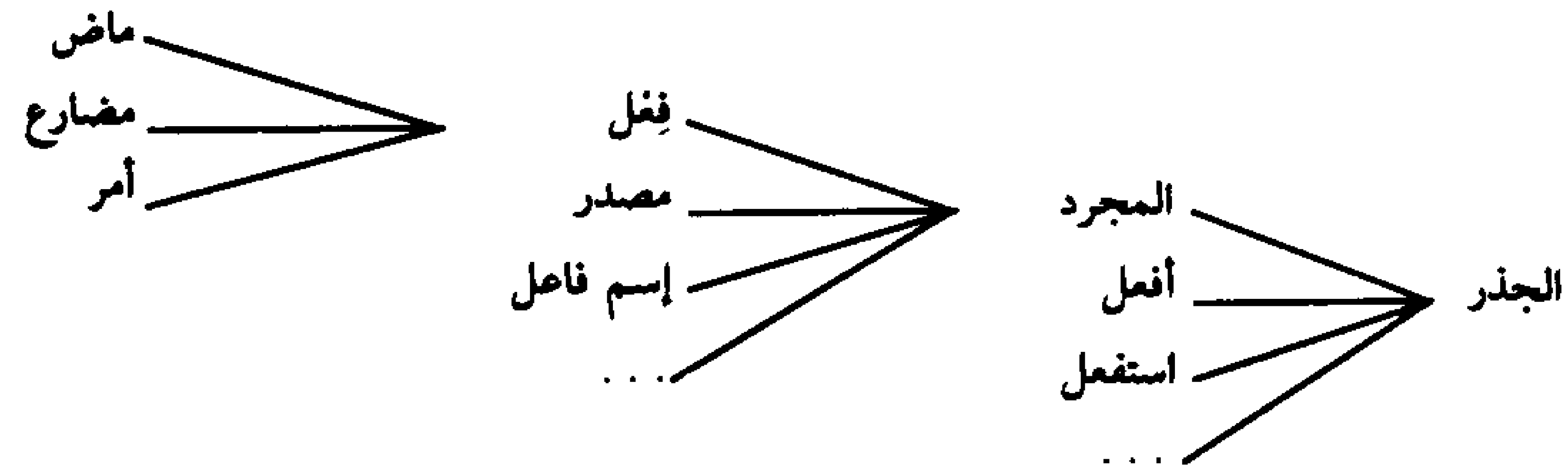
التي نتحصل فيها على مختلف الأسماء والأفعال ثم تأتي مرحلة التصريف التي تعطينا الأشكال التي ترد في الجمل:



ولكن الكلمات المعجمية التي نشتقها من الجذر تجمع حسب أصناف:

- خرج، خروجاً، خرجة، مَخْرَج، مُخْرِج، خارج، خارجي، خارجية، خرّاج.
- أخرج، إخراج، مُخْرِج
- استخرج، استخراج، مُسْتخرج
- تَخَرَّج، تَخرُّجٌ، مُتَخَرِّجٌ

فيها يجتمع المجرد مع أفعاله وأسمائه وكل صنف من المزيد مع مشتقاته، بحيث أنه لدينا أكثر من مستوى في الاشتقاق والتصريف.



وتعدد هذه المستويات ظاهرة خاصة بالصرف العربي.

٢٣ ـ مفهوم المرفيم واختلاف اللغويين حوله

يظهر، لأول وهلة، أن مفهوم المرفيم بسيط، وأن اللغويين لهم شبه إجماع حول تعريفه، وطرق تحديده. ولكن هذه البساطة ظاهرة فقط، والإجماع غير وارد والصعوبات في المفهوم ناتجة عن عدم التقابل بين الشكل والمعنى بحيث أن التعريف إذا أعطى الأولوية إلى الشكل فإنه سينظر إلى الوحدات غير الخطية بصفة مبسطة، وإذا أعطى الأولوية إلى المعنى فإنه سيدخل تعقيدات على التحليل غير لازمة.

لننظر إلى الضمائر المتصلة في العربية:

كتبتُ (tu)	كتبتَ (ta)	كتبتُمْ (tum)
كتبنَا (nā)	كتبتِ (ti)	كتبتُنَّ (tunna)

فالضمير (ت، tu) في تقابل مع (نا: nā) من ناحية العدد وهو في تقابل مع ضمائر المخاطب والغائب، لذا نصفه بأنه: «ضمير المتكلم المفرد».

والضمير (تَ، ta) في (كتبتَ) له الصفات (مخاطب، مفرد) ولكن التقابل بين كتبتَ (ta) وكتبتِ (ti) يجعلنا نضيف لصفات هذا الضمير السمة مذكر، فيصبح لدينا:

(تَ: ضمير، مخاطب، مفرد، مذكر)

فإذا كان المرفيم أو الدليل اللغوي هو الثنائية (دال، مدلول)

فهل نحن أمام مجموعة من المرفيمات:

(تَ، مخاطب)، (تَ، مفرد)، (تَ، مذكر)

لها دال مشترك أي صورة صوتية واحدة هي تَ /ta/ ونكون هنا أمام ظاهرة إدماج، أم أننا أمام مرفيم واحد له مدلول مركب؟ في الحالة الأولى نكون قد أعطينا الأولوية للدلالة، وفي الحالة الثانية نكون قد أعطينا الأولوية للشكل.

٢٤ ـ نظرة «مارتيني» إلى المرفيم

يقترح «مارتيني» مصطلحاً خاصاً للوحدات الدالة فيسميها «مونيما» ويقسمها إلى:

«مونيمات معجمية» وهي وحدات تنتمي إلى قائمة مفتوحة قابلة للإثراء كجذور الأسماء، والأفعال...

«مونيمات نحوية» وهي تنتمي إلى قائمة مغلقة كالسوابق، واللواحق، والوزن، وبعض حروف المعاني، وإسم الإشارة، والاسم الموصول... فهي لا تتغير دون إحداث تغيرات أساسية في اللغة.

٢٥ ـ حول تصريف الأفعال

لننظر إلى تصريف (كتب) في الماضي مكتوباً صوتياً:

أنا kataba-tu	نحن katab-na	
أنت katab-ta	أنتما katab-tumā	أنتم katab-tum
أنتِ katab-ti	أنتما katab-tumā	أنتن katab-tunna
هو katab-a	هما katab-ā	هم katab-ū
هي katab-at	هما katab-atā	هن katab-na

اللساني الذي يجهل العربية، سيتوصل بمقابلة مكونات هذه

الوحدات إلى ما يلي:

١ ـ جذر الفعل له صورة واحدة هي كَتَب /katab/.

٢ ـ الجذر متبوع بمرفيمات مختلفة لها دلالات واضحة.

٣ ـ الغائب المفرد المذكر مرفيم صورته الفتحة /a/.

٤ ـ الغائب المفرد المؤنث مرفيم صورته الفتحة + التاء أي /at/.

ولكن النحويين العرب لم يعاملوا هذه الوحدات بهذه الطريقة، فقالوا:

كَتَبْتُ	:	كتبْـ	:	فعل ماض مبني على السكون
		تُ	:	ضمير متصل فاعل
كَتَبَ	:	كتبَ	:	فعل ماض مبني على الفتح
				الفعل مستتر تقديره (هو)
كتبَتْ	:	كَتَبَ	:	فعل ماض مبني على الفتح
		ت	:	تاء التأنيث
				الفاعل مستتر تقديره هي

أي أنهم أجروا التقطيع كما يلي:

أنا: katab-tu

أنتَ: katab-ta

أنتِ: katab-ti

هو: kataba + 0

هي: kataba + 0 + t

وموقفهم، وإن لم يعبّر عنه بصفة صريحة، هو الآتي:

١ ـ جذر الفعل مرفيم له صورتان مترادفتان: كَتَبَ (kataba)، وكَتَبْ (katab).

٢ ـ علامة الغائب المفرد معدومة أي أنه المرفيم صفر.

٣ ـ علامة التذكير في الغائب المفرد معدومة.

٤ ـ علامة التأنيث في الغائب المفرد المؤنث هي التاء.

أي أن لدينا:

	الفعل	الفاعل	التأنيث
هو	كَتَبَ	Ø	Ø
هي	كَتَبَ	Ø	ت

وفيما يخص المترادفتين: (كتبَ) و(كَتَبْ)، فإنه بإمكاننا اتخاذ الموقف التالي الذي يتساير مع تفكير النحويين العرب:

(كَتَبَ) هو الأصل وإنما أسكنت اللام عند الإسناد إلى ضمير متحرك لتكاثر الحركات المتتالية في الكلمة الواحدة.

أي أن لدينا التحويل: كَتَبَتُ ← كَتَبْتُ

وهذه الخاصية الإيقاعية معروفة في العربية،

ويمكن التعبير عنها بواسطة المقاطع، كما يلي:

كَـ + تَ + بَ + تُ ← كَـ + تَبْ + تُ

u + — + u ← u + u + u + u

إن اللغة العربية ترفض توالي أربعة مقاطع قصيرة في الكلمة فيتحول اثنان منها في هذه الحالة إلى مقطع طويل.

لننظر الآن إلى قضية الضمير الذي يسند إليه الفعل في حالة الغائب، إذا قارنا بين كتبَ (kataba) وكَتَبوا (katabū) وبين كَتَبَ (kataba) وكَتَبَا (katabā)، فإننا نرى الوحدات تنتهي كلها صوتياً بحركات ممدودة أو غير ممدودة ولكن الفرق وارد فقط في الكتابة، فهل القضية مرتبطة بالكتابة وحدها. بحيث أن موقف النحويين العرب يلخص كما يلي:

- عندما لقوا في نهاية الفعل حرفاً (مكتوباً) عدوه فاعلاً.
- عندما لقوا حركة نفوا اعتبارها وحدة نحوية.

ولكن قضايا الكتابة لم تكن في الحقيقة الدافع الأساسي، فالمبرر الحقيقي لموقفهم هو ما يجري على المستوى التركيبي.

الجمل الآتية:

كَتَبَ	محمد	الدرس
كتبتْ	هند	الدرس
كتبْـ	تُ	الدرس
كَتَبـ	ـُوا	الدرس
كتبـ	ـَا	الدرس

ترينا أن:

١ ـ الضمائر: تُ، ـُوا (واو الجماعة)، ـَا (ألف التثنية) تلعب دور الفاعل.

٢ ـ (كَتَبَ) في موقع (كَتَبْ) فهي ترادفه صرفياً.

٣ ـ فتحة (كَتَبَ) وتاء (كَتَبَتْ) ليست من طبيعة واو الجماعة أو ألف التثنية لأنه لو كان الأمر كذلك لكتبنا:

كتب + ـَ + التلميذ الدرس (١)

كتب + ـَت + التلميذة الدرس (٢)

كتبـ + ـَا + التلميذات الدرس (٣)

كتب + ـُوا + التلاميذ الدرس (٤)

واضعين الوحدات (a, at, ā, ū) في سياق واحد. ولكن عدم صلاحية الجملتين (٣) و(٤) يثبت الاختلاف بين (a, at) و(ū و ā).

كل هذا يبرر موقف النحويين العرب ويظهر لنا خطر تحليل الوحدات الصرفية بمعزل عن المعطيات النحوية.

٤	المسند والمسند إليه

١ ـ المسند والمسند إليه في الجملة

يعتبر النحو التقليدي منذ سقراط أن الجمل الخبرية البسيطة مبنية كلها على تركيب يحتوي إجبارياً على مسند ومسند إليه، أما عناصر الجملة الأخرى من ظرف زمان ومكان وحال ونعت، فإنها غير لازمة لتكوين الجملة ويمكن الاستغناء عنها.

ففي الجملة:

«خرج الرجل صباحاً من منزله»

المسند هو (خرج)، والمسند إليه هو (الرجل)، أما (صباحاً) فهو محدد للزمان و(من منزله) محدد للمكان، ويمكننا حذف أحدهما أو حذفهما معاً، فنحصل على الجمل:

خرج الرجل صباحاً

خرج الرجل من منزله

خرج الرجل

التي هي كلها سليمة التركيب، ولكن حذف المسند إليه أو المسند يؤدي إلى تراكيب مثل: (الرجل صباحاً من منزله) التي هي غير مكتملة الإفادة.

ومنه فإن المسند والمسند إليه يكوّنان «**نواة الجملة**».

٢ ـ نظرية «أرسطو» لأصناف الإسناد.

يرى «أرسطو» أن أول صنف هو صنف «**الجوهر**» وهو أهم شيء بالنسبة للمنطق وأن الخواص الباقية عرضية (أو **أعراض**). أصناف الجوهر. كائنات حية أو أشياء، والخواص العرضية (الكمية، الصفة، المكان، الزمان، الحركة، الهيئة...)، يمكن إسنادها إلى الجوهر في قضايا منطقية أو «مقولات». فيما يلي:

الجو بارد، خرجتُ، صديقي وَفِيٌّ، في الدار رجل، محمد كبير.

الضمير (تُ)، (صديقي)، (رجل)، (محمد) عناصر من فئات الجوهر.

و (بارد)، (خَرَجـْ)، (وَفيٌّ)، (في الدار)، (كبير) أعراض تدل على أشياء تخص الجوهر (نوعية، فعل، صفة، مكان، حجم).

٣ ـ الإسناد في العربية

التعريف السائد للمسند والمسند إليه هو الآتي:

ـ المسند هو المحكوم به.

ـ المسند إليه هو المحكوم عليه.

(ذكره أبو حيان في «شرح التسهيل»)

وذهب البعض إلى أن:

ـ المسند هو الأول: والمسند إليه هو الثاني، ففي الجملتين:

قام زيد، زيد قائم

(قام) هو المسند في الأولى، و(زيد) هو المسند في الثانية.

وزعم البعض العكس، وذهب آخرون إلى أن كلا منهما مسند ومسند إليه.

ولكن الذي شاع استعماله عند النحويين وعند أصحاب البلاغة هو التعريف الأول.

ويكون المسند عموماً في المواضع الآتية:

١ ـ خبر للمبتدإ نحو «قادر» في: (الله قادر)

٢ ـ الفعل التام نحو (خرج) في: (خرج زيد)

٣ ـ خبر (كان) وأخواتها، خبر (إن) وأخواتها، خبر (ظن) وأخواتها.

أما مواقع المسند إليه فأهمها:

١ ـ الفاعل نحو: (زيد) في (جاء زيد)

٢ ـ نائب الفاعل نحو: (كتاب) في (قُرِىءَ الكتابُ)

٣ ـ المبتدأ نحو (خالد) في: (خالد ذكي)

٤ ـ إسم كان وأخواتها، إسم إن وأخواتها، إسم ظن وأخواتها.

والجدير بالذكر أن ما خرج عن نطاق المسند والمسند إليه من مفعول، وحال، وتمييز... يعد زائداً عليهما.

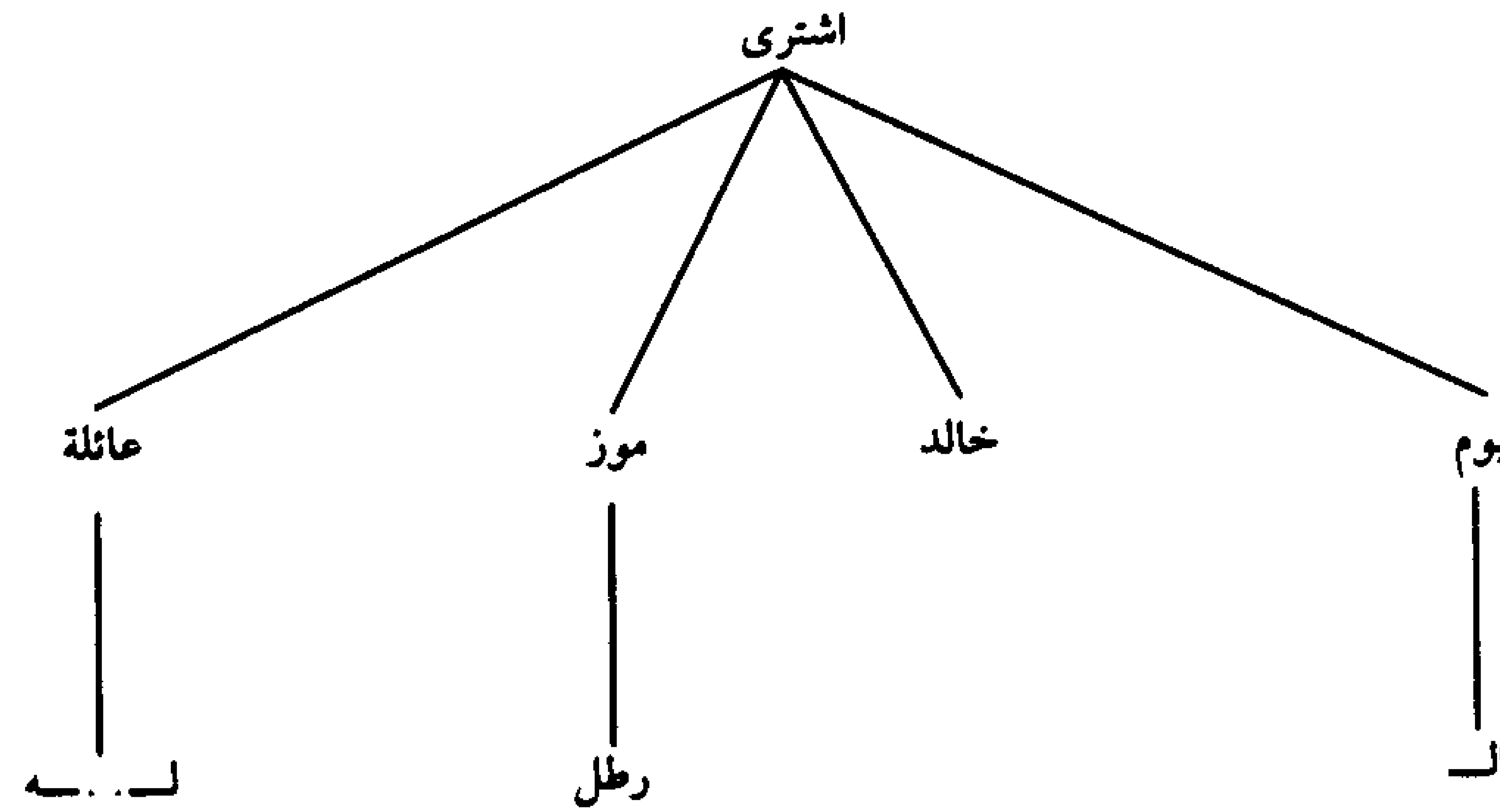
٤ ـ الإسناد عند الغربيين قديماً

استعمل النحو الأوروبي مفهوم الإسناد منذ القدم، فالمسند إليه في الجملة هو عندهم الفاعل أي ما يشير إلى الشيء الذي نتكلم عنه بينما المسند هو ما يقال عن هذا الشيء، ويشمل المسند عموماً المفعول به، بحيث أن جملة مثل: زيد ضرب عمراً، تتكون من

مسند إليه: (زيد)، ومسند: (ضرب عمراً). ويخالف هذا، التحليل العربي الذي يقتصر فيه المسند على (ضرب).

ولم يكتشف الغربيون مفهوم المفعول به إلاّ مؤخراً فأدرجوه في باب المكمل (complément) الذي قسموه إلى مكمل بالعلاقة، ومكمل تحديدي.

أما «تينيير» Tesnière فإنه اقترح أن يكون المسند هو العنصر الذي ترجع إليه كل العلاقات وحدد لكل جملة مخططاً سماه (stemma) حيث يربط خط بين العنصر والعنصر التابع له، فمثلاً الجملة: اليوم اشترى خالد رطل موز لعائلته، تمثل كالآتي:



فالعنصر الأعلى هو المسند أساس الجملة، تحته مكملاته وتحت هذه العناصر مكملاتها (أداة التعريف، العدد، المضاف إليه . .).

ونرى أن المسند الذي كان آخذاً قسطاً كبيراً من الجملة قد تجزأ إلى عدد كبير من العناصر.

أما المسند إليه فإنه أصبح عنصراً كباقي العناصر مرتبطاً هنا بالفعل بحيث أنه يمكننا القول بأن في مثالنا أسندت للفعل أربعة عناصر: ثلاثة منها أسماء يسميها «تينيير» les actants: أولها الفاعل (خالد) والثاني المفعول (رطل موز) والثالث المستفيد (العائلة) أما (اليوم)، فإنه عامل ظرفي.

٥ ـ المسند عند مارتيني

يحاول مارتيني التوفيق بين نظرة «تينيير» للمسند ونظرة من سبقوه، فالمسند بالنسبة له عنصر متميز من النص تتجه نحوه كل العلاقات، ولكن مارتيني يعترف بأهمية الفاعل فيدخل مفهوم الامتداد (l'expansion)، ويسمّى امتداداً كل جزء من النص يمكن حذفه دون أن تتغير العلاقات بين باقي عناصر الجملة.

ففي جملتنا السابقة يمكن حذف (اليوم) الدال على الزمن فنحصل على:

اشترى خالد رطل موز لعائلته.

كما يمكن حذف (لعائلته)، فنحصل على:

اشترى خالد رطل موز

كل ما يمكن حذفه من الجملة هو امتداد وما تبقى هو النواة.

٦ ـ نظرية التقميم la tagmémique

هذه النظرية وضعها بيك pike بين ١٩٥٤ و١٩٦٠ وهي تتناول اللغة كعنصر من السيرة البشرية.

العنصر الرئيسي في هذه النظرية هو التقميم Tagméme، وهو موقع في بنية نحوية وصرفية تحققه فئة تعويضية ذات وظيفة معينة؛ أي أن كل وحدة تملك وجهين: وظيفة (مثل مسند، مسند إليه، مفعول به. . .) وصنف أي جزء من أجزاء الكلم (إسم، فعل، ضمير، نعت. . .)

فالجملة: «قرأت الكتاب»

تمثيلها: + مسند: فعل + مسند إليه: ضمير + مفعول به: إسم.

فكل عنصر ممثل بالوظيفة التي يشغلها مرفوقة بالصنف الذي ينتمي إليه، وإذا أردنا أن نعبر في نفس الوقت عن الجملة (قرأ زيد الكتاب) حيث يحل الاسم (زيد) مكان الضمير المتصل فإننا نكتب:

+ مسند: فعل + مسند إليه: ضمير/إسم + مفعول به: إسم

والكتابة مسند إليه: ضمير/إسم: تعنى أن المسند إليه يحققه إما الضمير وإما الإسم.

والجدير بالذكر أن في هذه النظرية المسند لا يحوي المفعول به.

ففي معظم التحليلات الجملة: (زيد قرأ الكتاب) تحلل كالآتي:

زيد: مسند إليه (قرأ الكتاب) مسند

بينما لدينا هنا ثلاثة عناصر:

(زيد): مسند إليه (قرأ): مسند، (الكتاب): مفعول به.

٧ ـ الإسناد في نحو المكونات المباشرة

لننظر إلى الجملة:

اللاعب الماهر سجل ثلاثة أهداف

لو طلب منا أن نقسمها إلى مركبين مترابطين لما استعملنا التجزيئات الآتية:

(اللاعب) + (الماهر سجل ثلاثة أهداف)

(اللاعب الماهر سجل ثلاثة) + (أهداف)

ولكننا سنجزئها بدون شك إلى:

(اللاعب الماهر) + (سجل ثلاثة أهداف)

وذلك لأنه يتبادر إلى أذهاننا التركيب:

اللاعب + سجل هدفاً

أو بصفة اقتصادية: (اللاعب + سجل)

وهي جملة بسيطة مكونة من مسند إليه ومسند.

فالتقسيم الأول للجمل إلى مكوناتها المباشرة يجري بالنسبة للجملة الأساسية حسب الطريقة التي تعزل من جهة، ما يقوم مقام المسند إليه ومن جهة أخرى ما يقوم مقام المسند، وإذا سمينا كلاً منهما ركناً فإنه يكون لدينا هنا:

ركن المسند إليه: اللاعب الماهر

ركن المسند: سجل ثلاثة أهداف

وكل ركن من الأركان هنا يحتوي:

على المسند إليه أي الفاعل أو نائبه أو المبتدإ مع توابعه (أدوات

تعريف وتحديد ونعوت).

وعلى المسند (الفعل أو الخبر) مع توابعه بما فيها المفعول به وتوابعه.

أي أن: **ركن المسند إليه** = **المسند إليه** + **توابعه** (محدداته ومكملاته)

ركن المسند = **المسند** + **توابعه** بما فيها المفعول به.

٨ ـ المكون المتقطع

قضية المكون المتقطع تطرح بحدة في الجملة العربية، فلو طلب منا أن نجزىء إلى مكوناتها الأساسية الجملة:

سجل اللاعب هدفاً

لترددنا بين:

(سجل) + (اللاعب هدفاً)

(سجل اللاعب) + (هدفاً)

فالتقسيم الأول لا يرضينا لأن التركيب (اللاعب هدفاً) لا يكوّن وحدة، ولا تربط بين الاسمين أي علاقة قوية، فمثلاً التذكير والتأنيث والجمع في أحدهما لا يؤثر على الآخر عموماً كما ترينا ذلك الجمل:

سجل اللاعبون هدفاً، سجلت اللاعبة هدفاً.

سجل اللاعب أهدافاً، سجل اللاعب ضربة جزاء.

أما التقسيم الثاني (سجل اللاعب + هدفاً) فإنه لا يرضينا لأنه لا يمكننا من تعويض (سجل اللاعب) بلفظة واحدة، ولا يمكن

القول: (اللاعب هدفاً) دون ذكر الفعل. ولا: (سجل هدفاً) دون ذكر الفاعل (إلاّ إذا كان مشاراً إليه في كلام سابق).

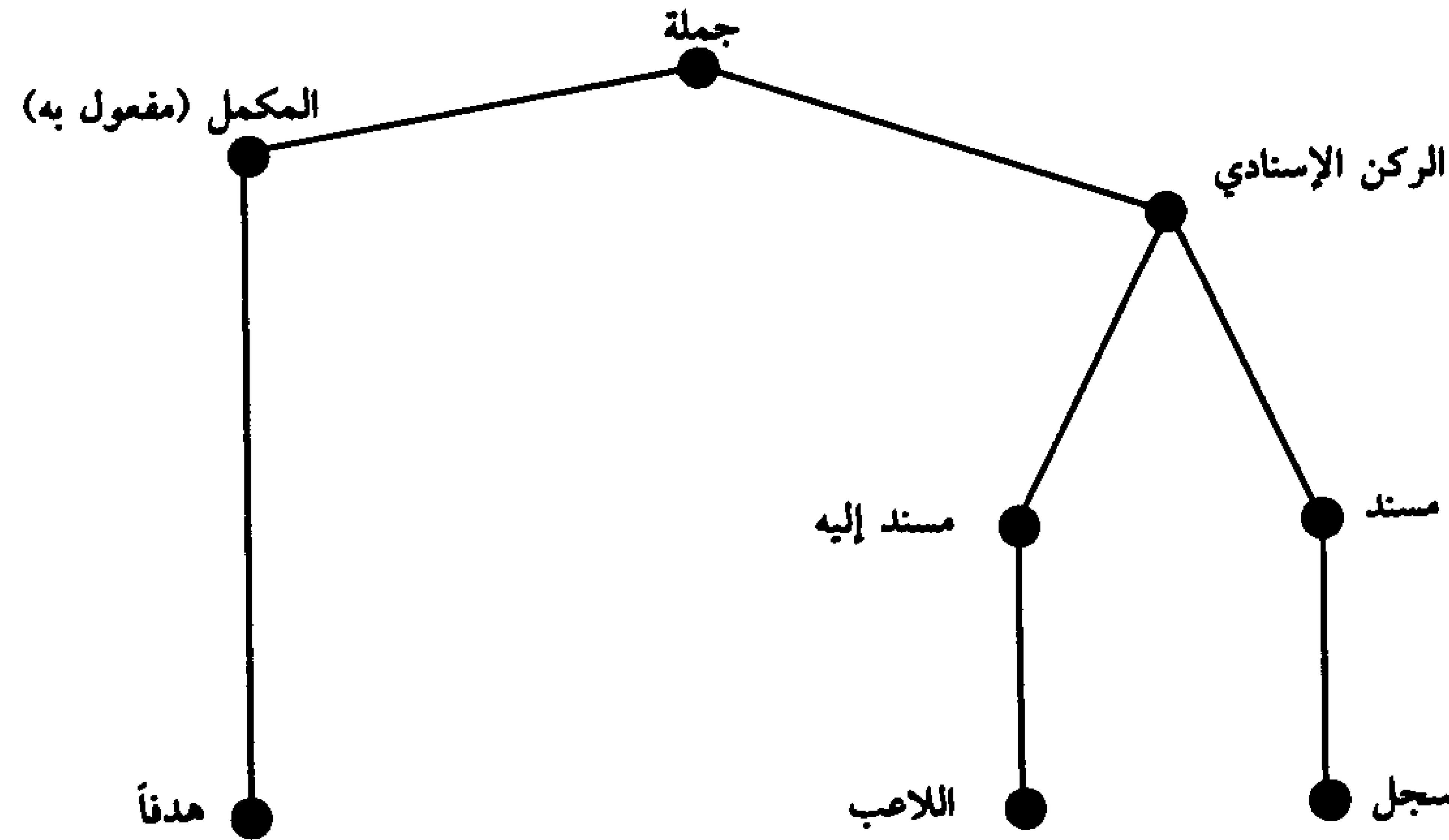
الاعتبارات السابقة حول المسند الفعلي الذي يحتوي المفعول به تجعلنا نجري التجزيء الآتي:

ركن المسند إليه: اللاعب

ركن المسند: (سجل... هدفاً)

المركب (سجل... هدفاً) المكون من مفردتين متباعدتين يسمى مركباً متقطعاً، وهو معروف في اللغات الأخرى، إلاّ أنه لا يظهر في جمل أساسية مثل الجملة الفعلية البسيطة العربية.

ومشكلة المركب المتقطع تكمن في صعوبة تمثيله في المخططات، وللهروب من استعمال الدال المنقطع يقترح البعض التجزيء الممثل في المخطط الآتي:



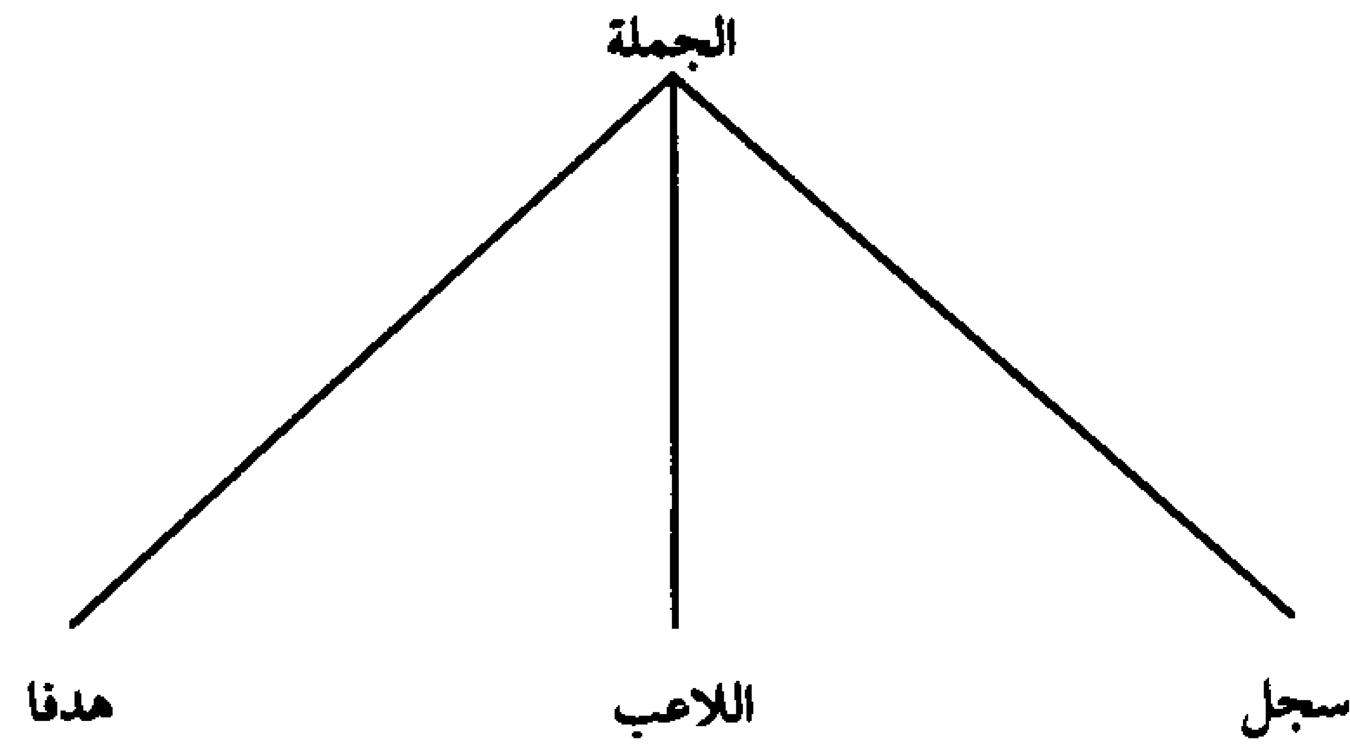
حيث عزل الجزء الذي يحتوي على المسند والمسند إليه (بالمفهوم القديم) وترك المفعول به على حدة وهو التقسيم: (سجل اللاعب + هدفاً).

ولكن، في الجملة: (سجل الهدف ماجد)، في هذه الحالة نقسم إلى:

ركن إسنادي: سجل. . . ماجِدُ

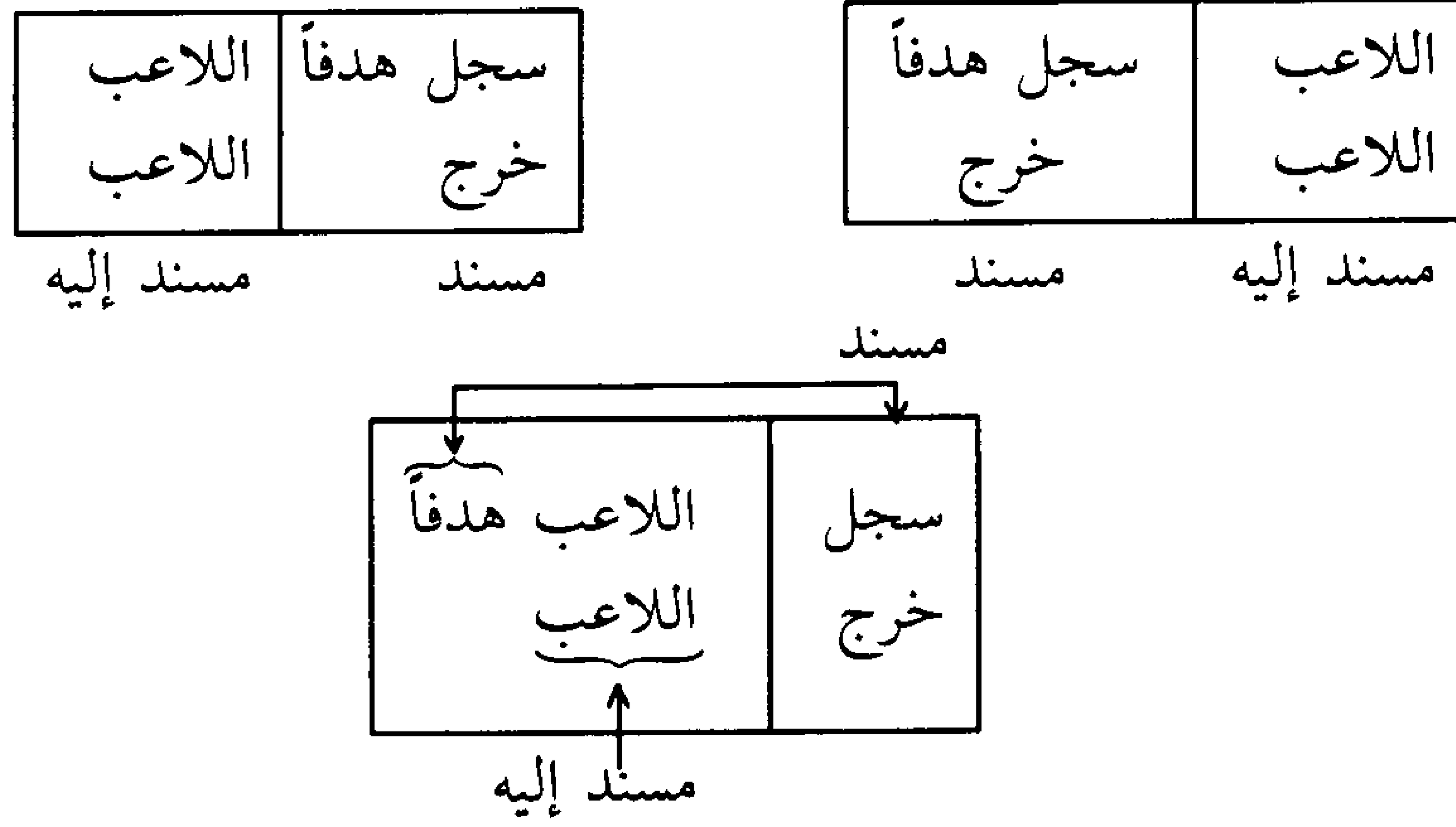
مكمل: الهدف

وهي تحتوي على مركب متقطع، ويطرح مشكل الدال المتقطع من جديد وهناك حل آخر وهو اعتبار المركبات ثلاثة:



ولكن هذا لا يجعلنا نربط هذه الجملة بالجملة ذات الفعل اللازم: (دخل اللاعب).

ويبقى أن التقسيم الذي يتوافق مع نظرية نحو المكونات المباشرة هو الذي يضع المفعول به مرافقاً للفعل داخل ركن المسند وذلك مهما كانت رتبة الكلمات الثلاث، فالمخططات الآتية:



ترينا أن هذا التقسيم يساير مبدأ التكافؤ المبني على وحدة السياق.

٥ نحو المركبات المباشرة

١ ـ العلاقات النحوية

كل جملة تتركب من كلمات (ومرفيمات)، ومهمة النحو هي دراسة بنية هذه التراكيب.

العلاقات التي تربط بين مركبات الجملة هي على ثلاثة أنواع: علاقة ترتيب وعلاقة تعويض، وعلاقة تلازم.

١) **علاقة التراكيب** هي التي تجعلنا نميز بين الجملتين:

أخو زيد صديقنا (١)

صديق زيد أخونا (٢)

وهي التي تجعلنا نتقبل الجملة:

في الدار رجل هادىء (٣)

ونرفض: في هادىء الدار رجل (٤)

٢) **علاقة التعويض**: هي التي تربط بين الوحدتين عندما يمكن تعويض إحداها بالأخرى فالجمل:

أبو زيد صديقي

أستاذ زيد صديقي

جار زيد صديقي

ترينا أن: **أبو، أستاذ، جار**، جاءت في موقع واحد من الجملة فهي في علاقة تعويضية.

٣) **علاقة التلازم**: هي التي تربط مثلاً بين صنف من الكلمات مثل: سار، جاء، ذهب، وصنف آخر مثل: فرس، رجل، صديق، فيستدعي ورود الأولى حضور عنصر من الثانية ولا يشترط هذا التلازم أن تكون الوحدتان متجاورتين، فنقول:

سار فرس، جاء رجل، دخل الدار صديق محمد.

وبعبارة أبسط، وباستعمال المصطلحات التقليدية، فالفعل يستدعي فاعله (أو نائب فاعله)، وكذلك الجار يتعلق بالمجرور، وحرف النداء بالمنادى، فهذه كلها علاقات تلازم.

٢ ـ نحو المركبات المباشرة
(grammaire des constituants immédiats)

هذا النحو يهدف إلى تحديد مركبات الجمل دون النظر إلى وظائفها وذلك بالاعتماد فقط على توزيع الوحدات.

والتوزيع distribution هو **مجموع السياقات** contextes التي تظهر فيها وحدة، فالجمل الآتية:

فتح زيد الباب	فتح خالد الباب
سجل زيد هدفاً	سجل خالد هدفاً
قرأ زيد كتاباً	قرأ خالد كتاباً

ترينا أن السياقات التي ظهر فيها (زيد) هي:

فتح... الباب، سجل... هدفاً، قرأ... الكتاب.

وهذه السياقات هي التي ظهر فيها أيضاً (خالد). نقول في هذه الحالة إن (زيد) و(خالد) لهما نفس التوزيع.

والتوزيع مبني على **علاقة التعويض** ممّا يجعلنا نقول بأن الإجراءات التطبيقية أو البرهنة تعطي الأولوية للعلاقات التعويضية.

ولكن التوزيع يكون بالنسبة للوحدات التي تحيط بالعنصر المدروس، فهذا العنصر جزء من سلسلة خطية، ومنه فإن العنصر التركيبي بخطيته له الأهمية الثانية.

المدرسة التوزيعية l'école distributionnaliste تعطي إذن الأهمية للعلاقات الترتيبية والعلاقات التعويضية. لندرس الجملة:

اللاعب الماهر سجل ثلاثة أهداف

قد رأينا في باب سابق أن أوّل تجزيء لها يكون كالآتي:

(اللاعب الماهر) (سجل ثلاثة أهداف)

الجملة التي أردنا تجزيئها تسمى **بنية** (construction)، وبصفة عامة فكل بنية هي **مجموعة ذات دلالة من الكلمات أو المرفيمات**.

كل من (اللاعب الماهر) و(سجل ثلاثة أهداف) يسمى **مكوناً** (constituant) وهو بدوره بنية لأنه سيحلل كما سنرى. أما الجملة الأصلية فليست (مكوناً) لأنها لا تدخل في أي بناء.

ويمكن تقسيم كل بنية من البنيتين السابقتين كما يلي:

((اللاعب) (الماهر))((سجل) (ثلاثة أهداف))

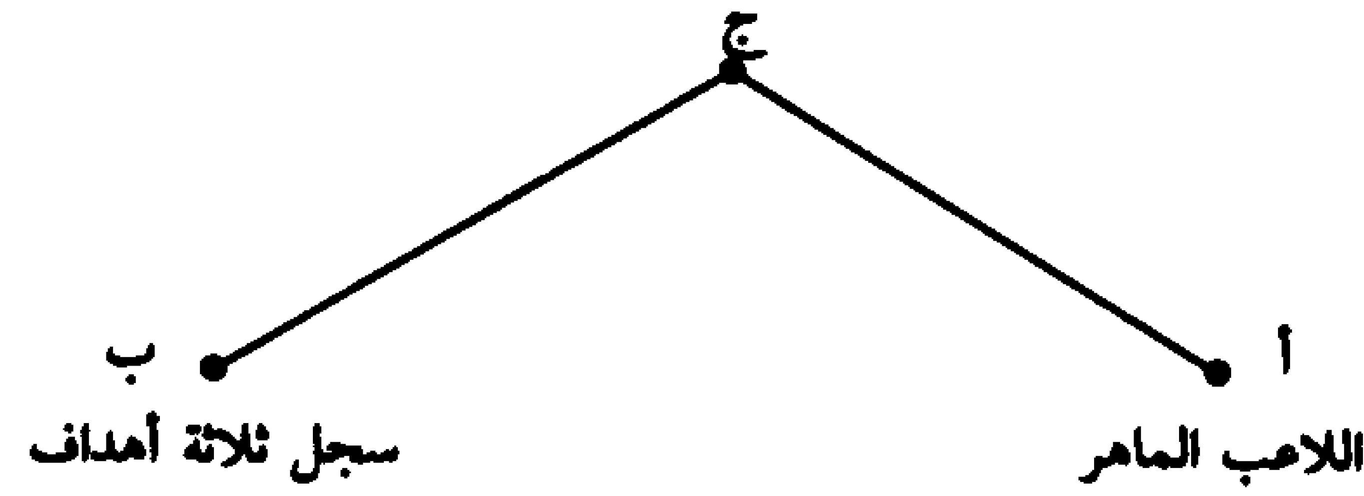
ثم يمكن إجراء التقسيم:

((الـ) (لاعب)) ((الـ) (ماهر))، ((سجل)) ((ثلاثة) (أهداف)).

هنا نوقف التقسيم ونكتب الجملة على الشكل:

(((الـ) (لاعب)) ((الـ) (ماهر))) (((سجل)) ((ثلاثة) (أهداف))).

كل هذه الأقواس تدل على مستويات في التحليل، ويمكن ترقيمها للدلالة على رتبة المكونات، كما أنه يمكن استعمال ما يسمى **بعلبة «هوكيت»** أو شجرة تمثل تدريجياً اشتقاقاتها.



هذا هو التقسيم الأول وهو ممثل **بمخطط** (graphe) له **رؤوس** (sommets) **وأقواس** (arcs).

الرأس ج يرمز **للجملة**: (اللاعب الماهر سجل ثلاثة أهداف).

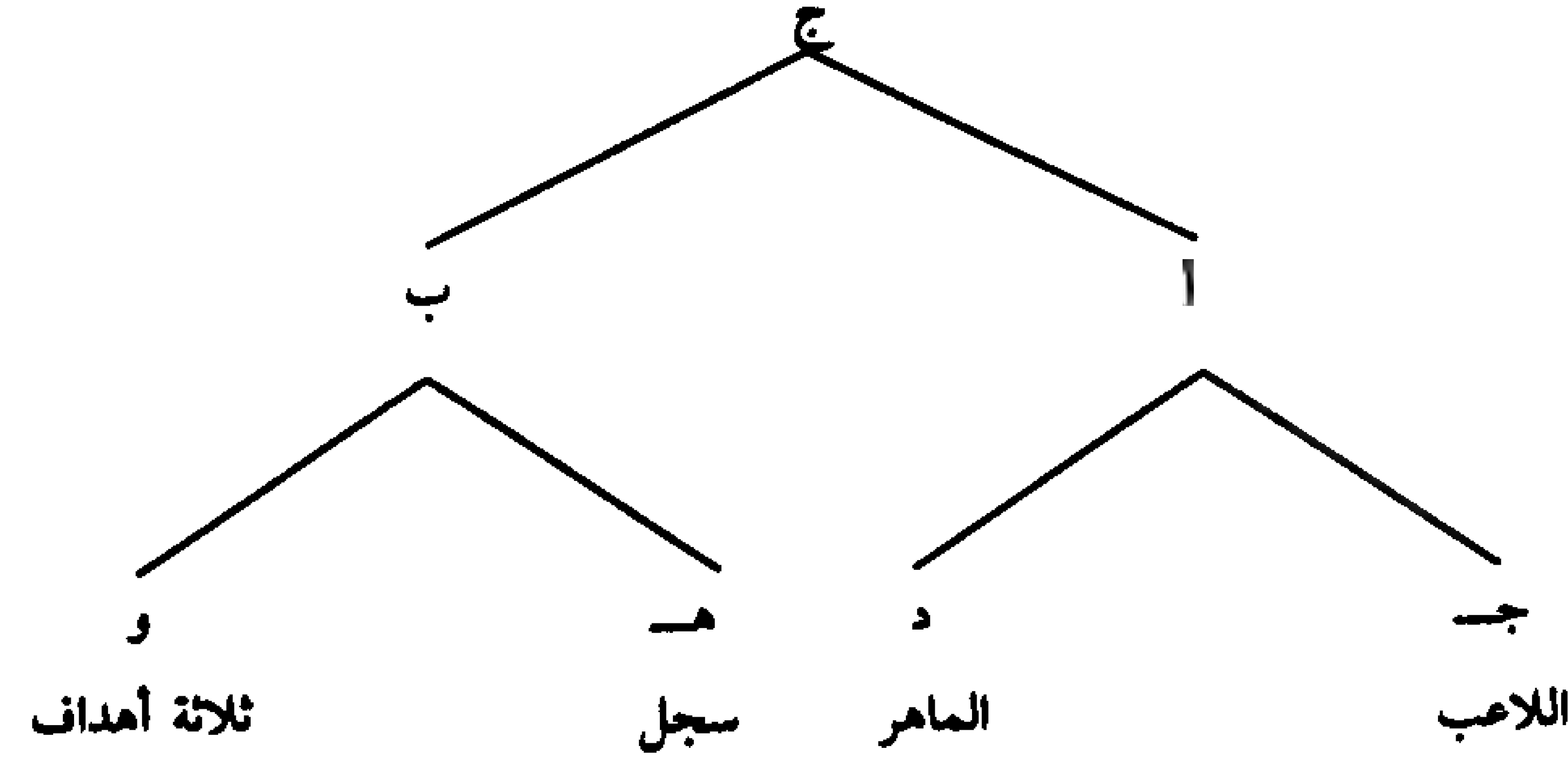
الرأس أ يرمز **للمكون**: (اللاعب الماهر).

الرأس ب يرمز **للمكون**: (سجل ثلاثة أهداف).

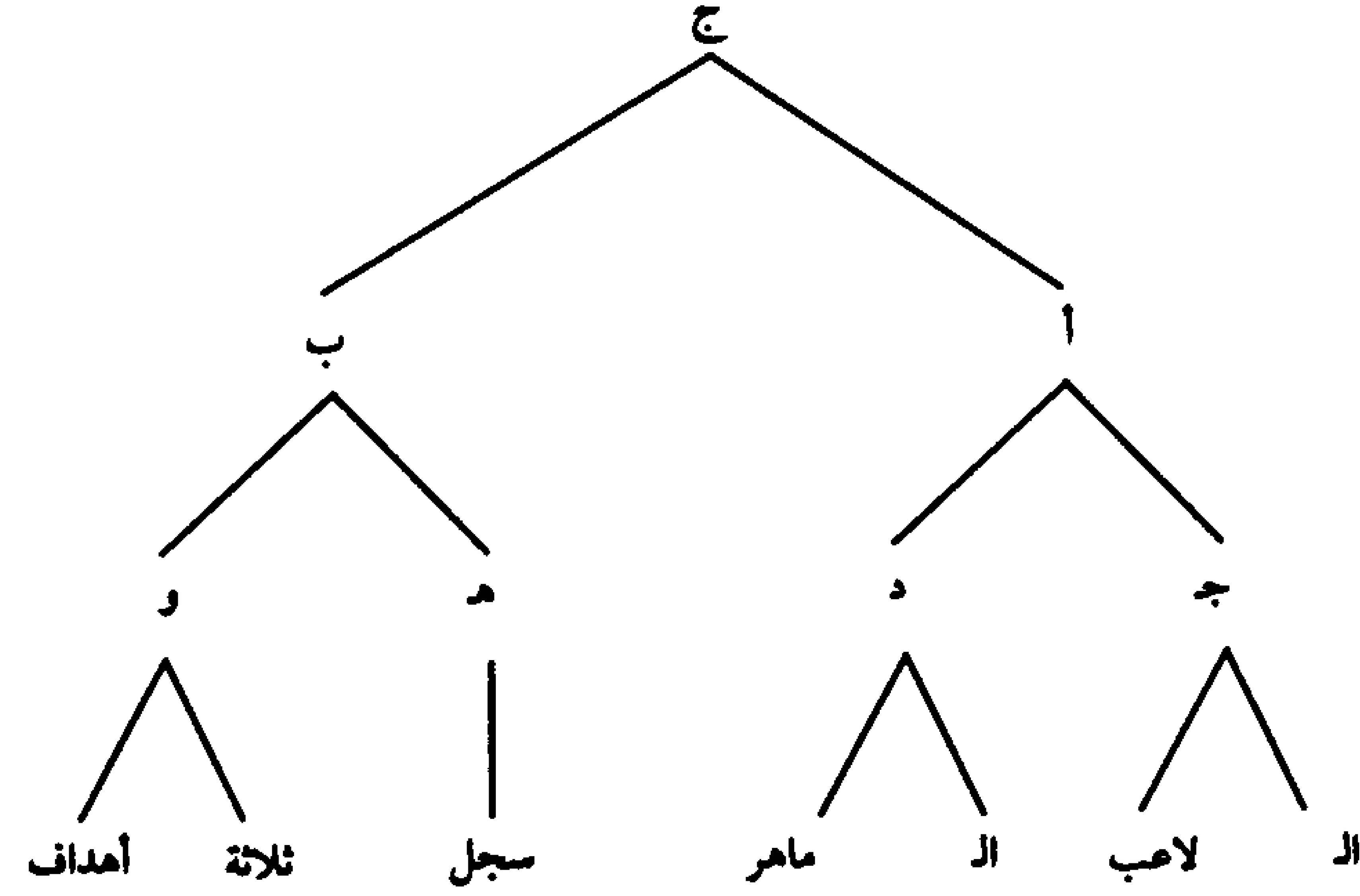
القوس (أ ج) يعني أن أ **مركب مباشر** للجملة ج.

القوس (ب ج) يعني أن ب **مركب مباشر** للجملة ج.

هذا التقسيم هو مستوى أول في التحليل، وبإمكاننا الاستمرار في التحليل فنحصل على:



حيث الرؤوس جـ، د، هـ، و تشير إلى المركبات المجاورة لكل من أ، ب، وبواسطة تحليل آخر نحصل على:



يلزمنا هنا أن نلاحظ أن أسماء الرؤوس تدل على بناءات أو مكونات وأنها لا تعطي أي معلومات عن الوحدات أو التراكيب فلا تقول لنا (جـ) مثلاً أننا أمام إسم و(د) أننا أمام نعت و(ب) أننا أمام

مسند، ومن هنا يظهر أن المعلومات التي يعطيها التحليل إلى المركبات المباشرة إذا قيست بالتحليل التقليدي هي معلومات قليلة.

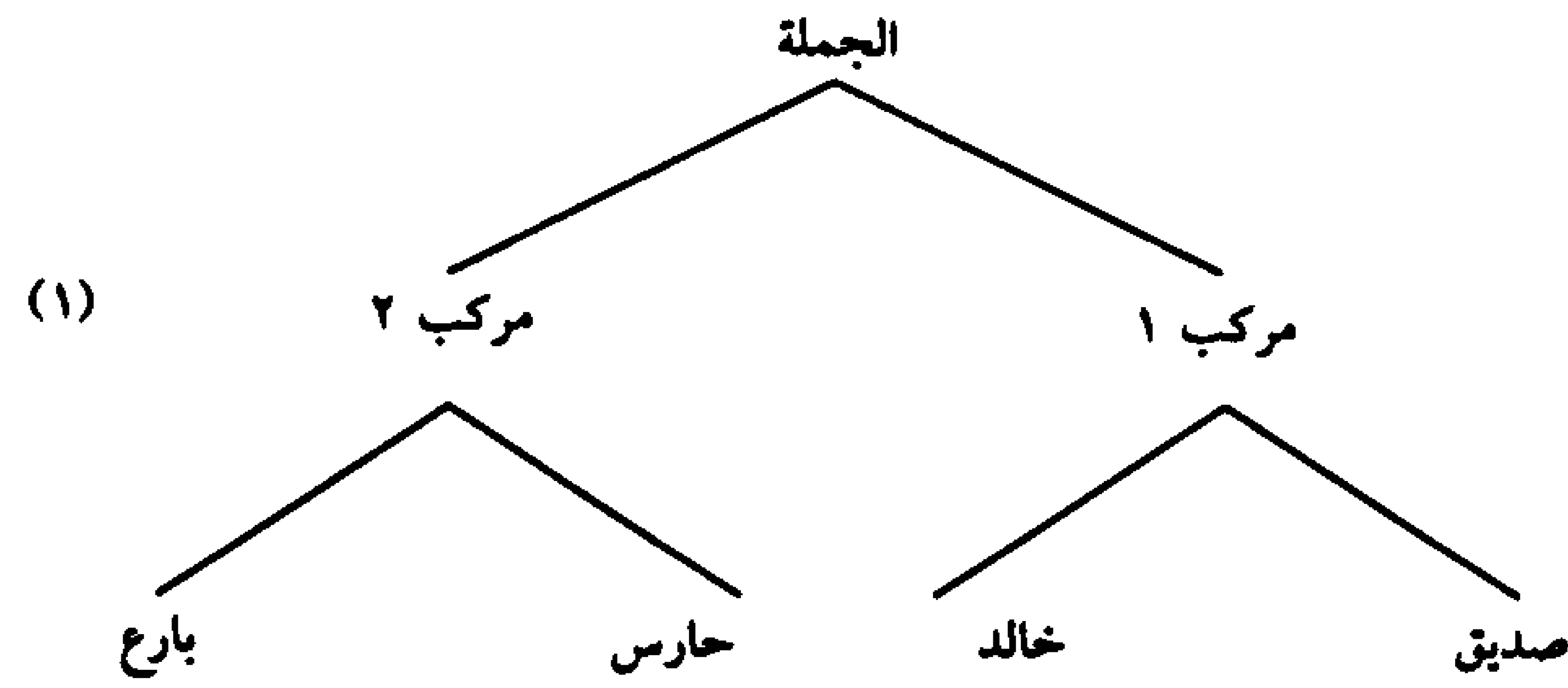
ولكن هناك فرقاً بين الإعراب القديم وهذا التحليل، فلو أعربنا مثلاً الجملة:

صديق خالد حارس بارع

لقلنا:

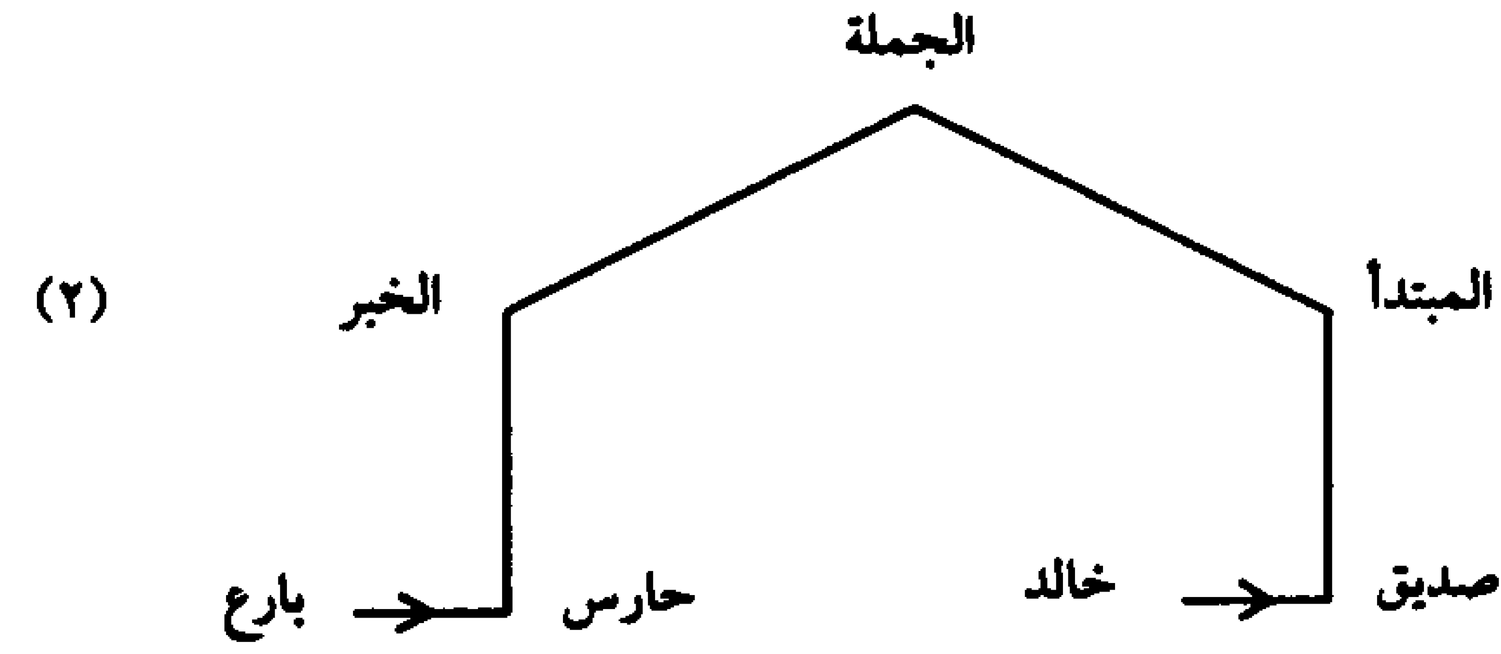
صديق: مبتدأ، خالد: مضاف إليه، حارس: خبر، بارع: نعت

ونكون قد نظرنا للجملة كأنها مكونة من مستوى واحد، بينما التحليل حسب مكوناتها المباشرة:



يعطينا على الأقل مستويين.

وإذا حاولنا تمثيل التحليل التقليدي للجملة السابقة فإننا نتحصل على ما يلي:



والفرق بين التمثيل (١) و(٢)، هو أن في الأول كل العلاقات، من نوع الاحتواء والتركيب، فـ (بارع) مثلاً متعلقة بـ (حارس بارع) التي هي مركب للجملة الكاملة، بينما في التمثيل الثاني كلمة (بارع) متعلقة مباشرة بالمنعوت (حارس)، وهي غير مرتبطة بالمركب الذي هو في المستوى الأعلى أي الخبر وكذلك الشأن بالنسبة للمضاف إليه (خالد) الذي هو مرتبط بـ (صديق).

٦ النحو التحويلي

١ ـ مفاهيم عامة

١ ـ يرى «شومسكي» أن الوصف الشامل للغة (أي نحوها) يشتمل على:

ـ **مركب إنتاجي** ينشىء كل جمل اللغة أي سلاسل المرفيمات المقبولة وهو علم التراكيب (la syntaxe).

ـ **مركب فونولوجي** يعطي للمرفيمات صورتها الصوتية.

ـ **مركب دلالي** يمنح الجمل معانيها.

٢ ـ كل نحو يشتمل على العناصر التالية:

أ ـ **عنصر أولي** ويسمى **البديهية** ونرمز له بالرمز (ج) أو (جملة).

ب ـ **عناصر مساعدة** مثل: إسم، فعل، أداة تعريف.

جـ ـ **عناصر نهائية** مثل: خرج الـ، طفل، تلميذ.

د ـ **قواعد إعادة كتابة** أو قواعد تعويضية مثل:

ج ← فعل + اسم

اسم ← الـ + طفل (١)

فعل ← خرج

النحو ينتج سلاسل من الكلمات، وتكون هذه السلاسل نهائية إذا احتوت على عناصر نهائية.

مثال: النحو (١) يمكننا بتطبيق القاعدة الأولى أن نحصل على:

فعل + اسم

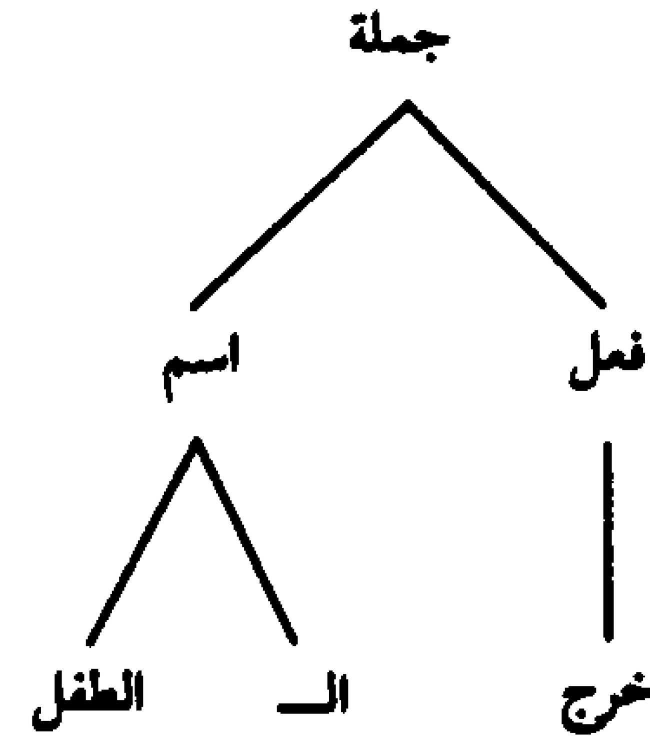
ثم بتطبيق القاعدة الثانية على:

فعل + الـ + طفل

ثم بتطبيق القاعدة الثالثة على:

خرج + الـ + طفل

يمكن تمثيل هذا النحو بالمخطط الآتي:



٢ ـ تحليل الجملة

مفردات العناصر المساعدة المستعملة في نحو شومسكي مأخوذة من نحو المكونات المباشرة عموماً، وهذه أهمها:

ج. **الجملة** مثل: الطفل استنشق زهرة

م.أ **مركب اسمي**: الطفل، هذا الطفل، خالد، ذلك الطفل الذكي، زهرة

م.ف **مركب فعلي**: خرج، استنشق زهرة

أ. ت **أداة التعريف**: الـ

ن **نعت**: ذكي، جميل، هادىء، مستمر، طويل، بعيد إلخ. . .

هذه الرموز مرتبطة بطريقة تقسيم الجملة إلى مكوناتها المباشرة، فالجمل:

هذا الطفل استنشق زهرة جميلة

الطفل استنشق زهرة

أحمد خرج

لها بنية أولى مشتركة ممثلة في بنية أبسطها: (أحمد خرج)

ولما كان الاسم مرفوقاً بعناصر أخرى في الجمل المركبة فإنه سمي: (مركباً اسمياً) أو (ركن الاسم)، ولما كان الفعل مرفوقاً بعناصر مكملة في الجمل المركبة فإنه سمي (مركباً فعلياً) أو (ركن الفعل).

والتقسيم الأول للجمل يكون حسب الجدول:

مركب اسمي	مركب فعلي
أحمد الطفل	خرج استنشق زهرة
هذا الطفل	استنشق زهرة جميلة

أما المركب الاسمي فإنه يقسم بدوره حسب الجدول:

محدد	إسم
	أحمد
الـ	طفل
هذا الـ	طفل

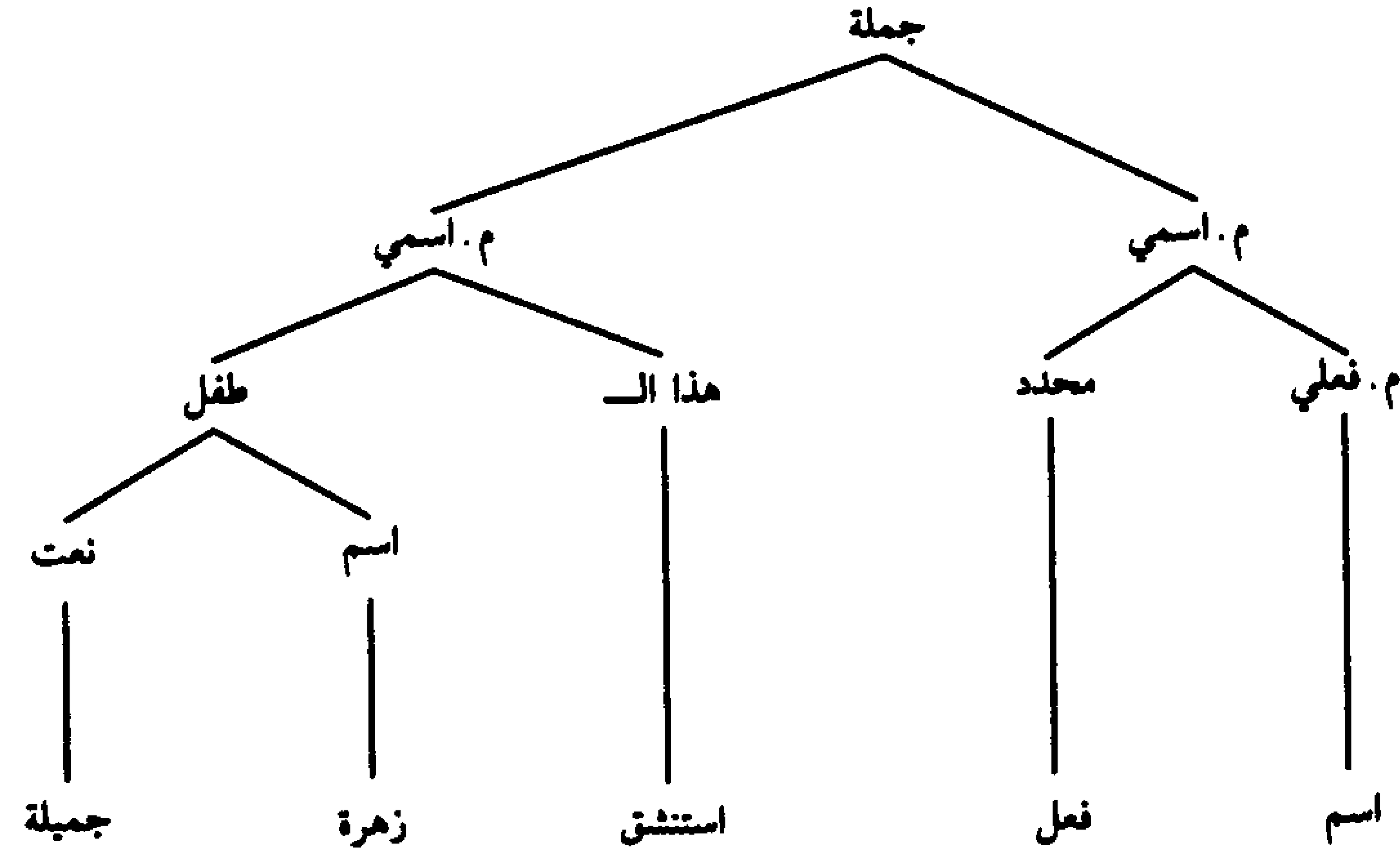
فالمحدد هو ما يسبق الاسم لتحديده: بالتعريف أو بالإشارة أو بالعدد (خمسة أطفال) أو بالشمول (كل الأطفال)...

المركب الفعلي بدوره يقسم حسب الجدول:

فعل	مركب اسمي
خرج	
استنشق	زهرة
استنشق	زهرة جميلة

فالمركب الاسمي الثاني اشتمل على نعت في الجملة الثالثة، ودور النعت هنا مثل دور المحدد في المركب الاسمي السابق

ويكون تحليل الجملة (هذا الطفل استنشق زهرة جميلة) كالآتي:

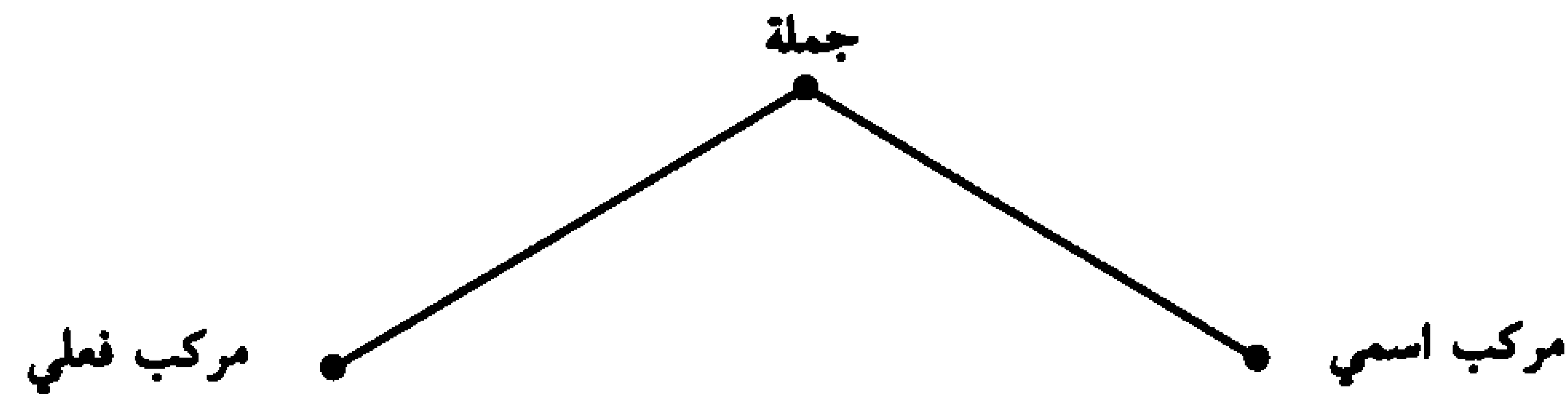


الوظائف

الوظائف غير مشار إليها في قاموس العناصر المساعدة ولكنها تبرز من خلال المخطط فالمركب الاسمي الذي هو مرتبط مباشرة بالرمز (جملة) في محل فاعل أو مبتدإ بينما المركب الاسمي الذي هو تحت المركب الفعلي في محل المفعول به.

٣ ـ قضية تحليل الجملة الفعلية

إن مثالاً كالذي سبقت دراسته مبني على تحليل الجملة الاسمية. ففي هذا النوع من الجمل تكون البنية كالتالي:



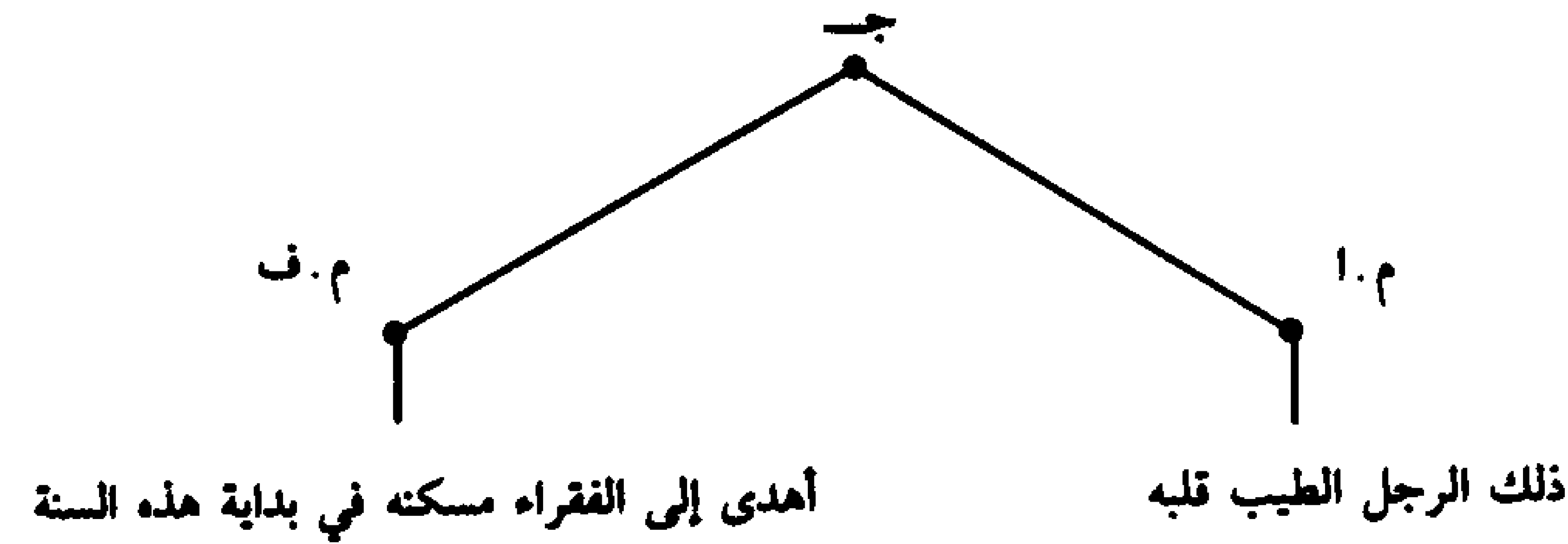
وهذا التحليل مبني على تقسيم الجملة إلى:

١ ـ **المسند إليه**: (سواء كان فاعلاً أو مبتدأ في العربية) مع كل ما يتعلق به (كالمحددات والنعوت والمضاف إليه...) وهو عموماً (مركب اسمي).

٢ ـ **المسند** (سواء كان خبراً أو فعلاً) مع كل ما يتعلق به (كالمفعول به والحال، وظرف الزمان، وظرف المكان...) ويكون مركباً فعلياً أو مركباً اسمياً.

وهذا التقسيم يجري غالباً بدون مشاكل تذكر في اللغات الأوربية، فالجملة الطويلة:

ذلك الرجل الطيب قلبه أهدى إلى الفقراء مسكنه في بداية هذه السنة. تجزأ إلى الجزءين:



وذلك لأن لهذه الجملة على هذا المستوى بنية: الرجل سار

فالتف على اليمين حول الاسم كل ما يحدده ويزيد من توضيحه: اسم الإشارة (ذلك)، أداة التعريف (الـ)، النعت(الطيب قلبه)، كما التف على اليسار حول الفعل (أهدى) كل ما يحدده: فـ (المسكن) هو الشيء الذي يهدى، و (الفقراء) هم المستفيدون من

الهداية، و(في بداية هذه السنة) هو زمن الهداية. كل هذا يظهر سهلاً بسيطاً، ولكن الأمور تتعقد عندما لا تراعى الخطية ولا تلتف المحددات حول المسند إليه من جهة، وحول المسند من جهة أخرى. فالجملتان البسيطتان:

ضرب زيدٌ عمراً ، خرج زيدٌ

لا يمكن أن تتقابلا كالآتي:

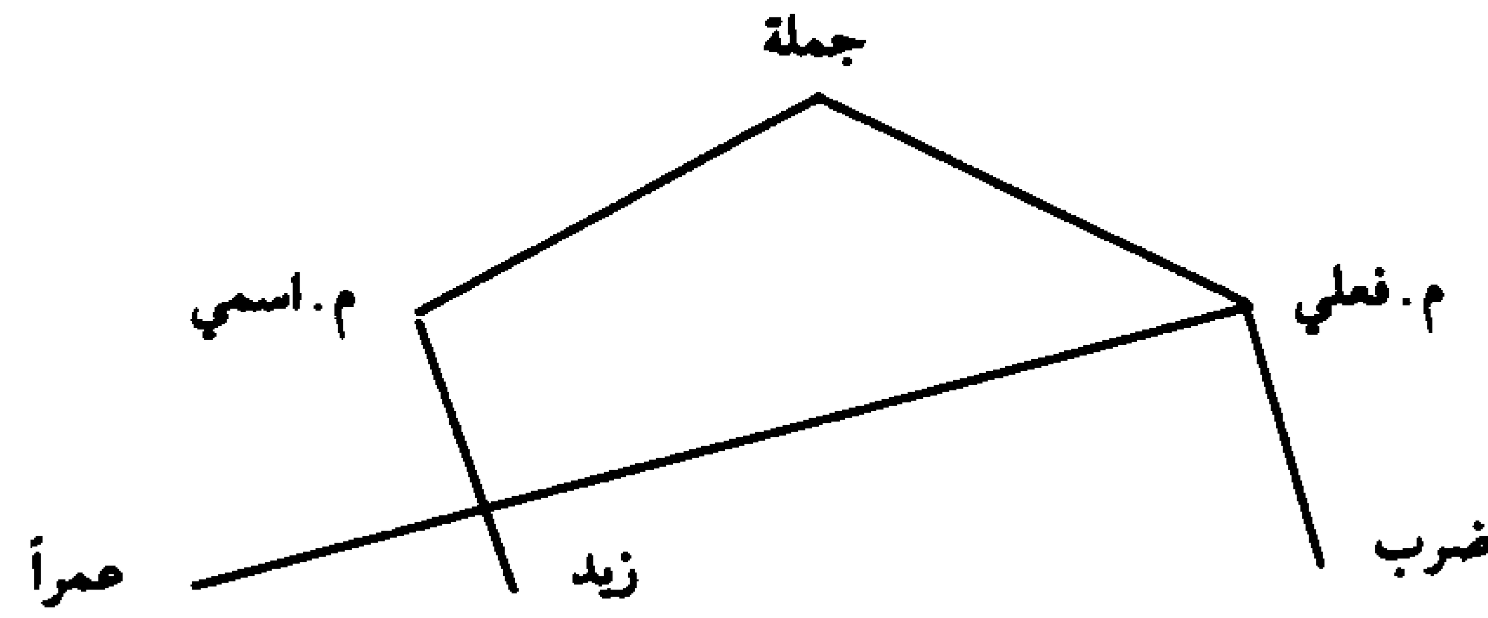
ضرب	زيدٌ عمراً
خرج	زيدٌ

لأن المفعول به متعلق بالفعل، والتقسيم الصحيح هو:

(ضرب... عمراً) من جهة، وهي تقابل (خرج)

و(زيد) من جهة أخرى.

ولكن كيف يكون تحليل الجملة في هذه الحالة؟ إن المخطط:



لا يستطيع أن يرضي أحداً والقضية ليست فقط قضية مخطط، فهي متعلقة بطبيعة القواعد التعويضية، فلو كتبنا مثلاً:

جملة ← مركب فعلي + مركب اسمي
مركب فعلي ← ضرب... عمراً
مركب اسمي ← زيدٌ

لتحصلنا على: (ضرب... عمراً زيد)، وهو تركيب غير الذي نبحث عن إنتاجه وأيّ نحو من هذا النوع لن يستطيع أن ينتج الجملة: (ضرب زيد عمراً) والحل الوحيد هو أننا نغير من رتبة الوحدات ونرجع الجملة: (ضرب زيد عمراً) إلى (زيد ضرب عمراً) حيث يجري التقطيع فيها بصفة خطية، ونستعمل عندئذ التحويل:

زيد ضرب عمراً ← ضرب زيد عمراً
١ ٢ ٣ ٢ ١ ٣

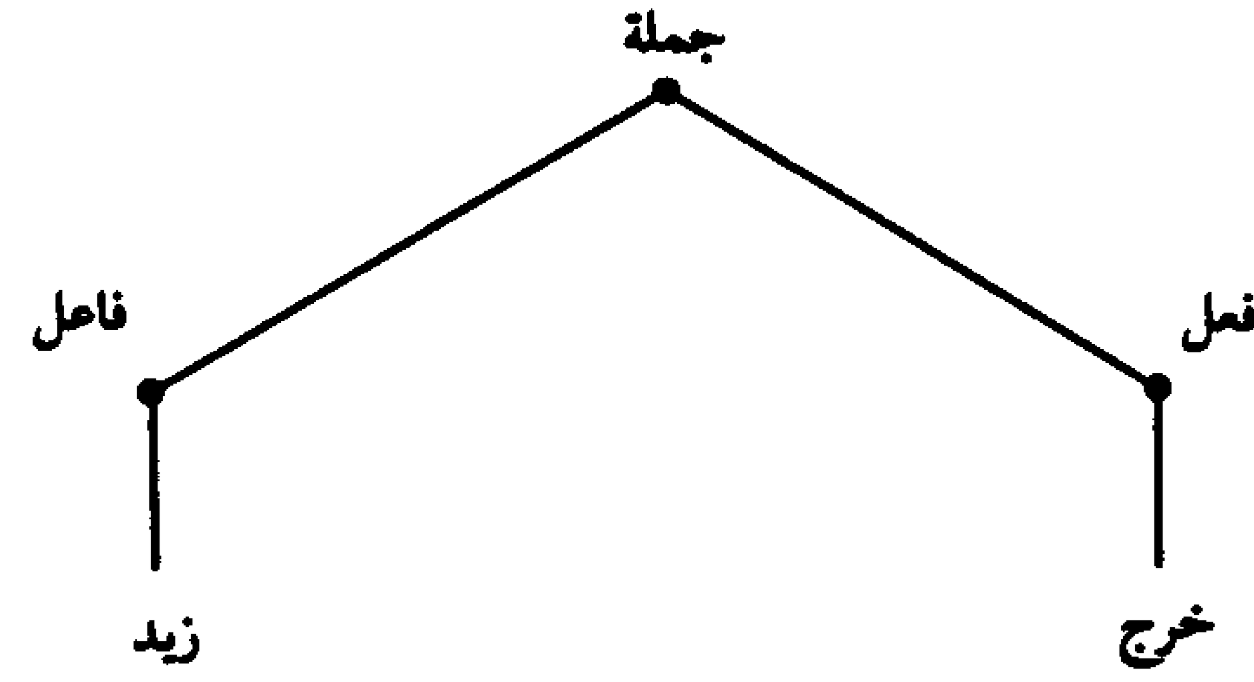
وهي تقنية مستعملة في الجزء التحويلي من نحو شومسكي.

ولكن هذه الطريقة لها سلبيات كثيرة من بينها:

١ ـ الاعتقاد بأن الأصل في الجملة العربية أن تكون اسمية وأن الجملة الفعلية ما هي إلاّ فرع.

٢ ـ إجراء هذه التحويلات حيث لا يلزم التحويل عملاً بمبدإ أساس الترتيب: مركب اسمي + مركب فعلي.

فالجملة: (خرج زيد) ذات التحليل البسيط:

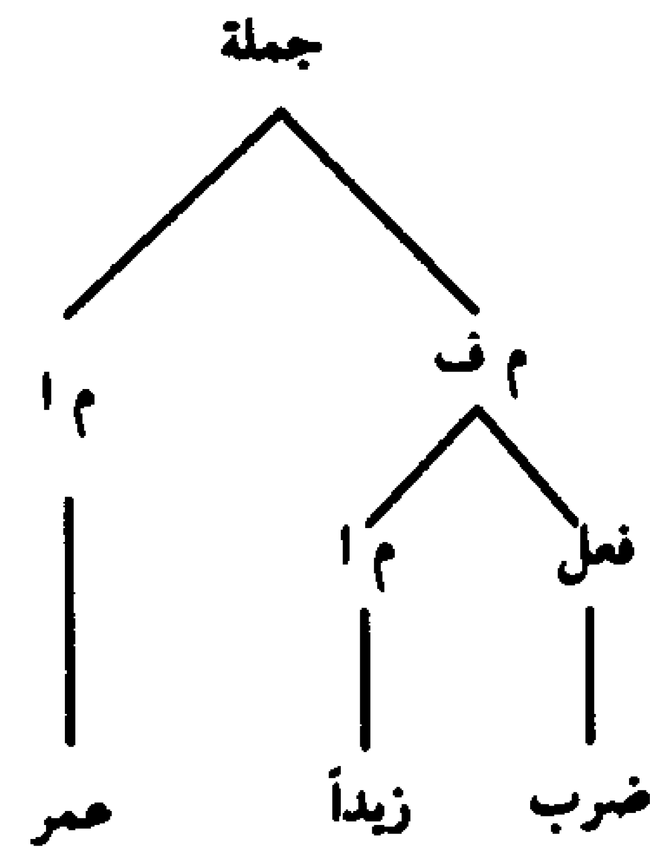


يلزمها أن تنتج بعد إنتاج الجملة الأساسية (زيد خرج) بواسطة التبديل:

زيد خرج ← خرج زيد

١ ٢ ٢ ١

الجملة (ضرب زيداً عمر) حيث رافق المفعول به الفعل، تحلل ببساطة:



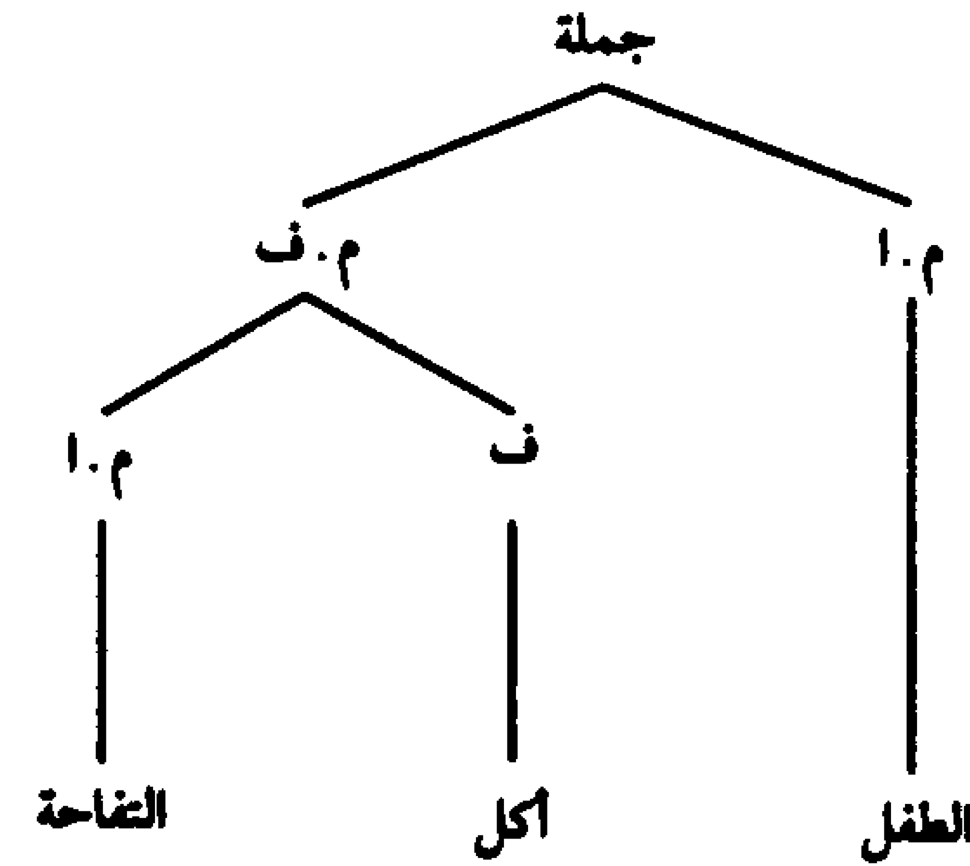
فيلزم في هذه الحالة إنتاج الجملة: زيد ضرب عمراً، ثم إجراء التحويل:

زيد ضرب عمراً ← ضرب زيد عمراً
١ ٢ ٣ ٢ ١ ٣

٣ ـ عندما يكون الفاعل ضميراً متصلاً مثل: ضرب عمراً (١)
فإن الجملة الاسمية يكون لها شكل «قبيح» تُ ضربْ عمراً (٢)
فكيف يمكن أن نعد الجملة (٢) أصلاً للجملة (١)؟

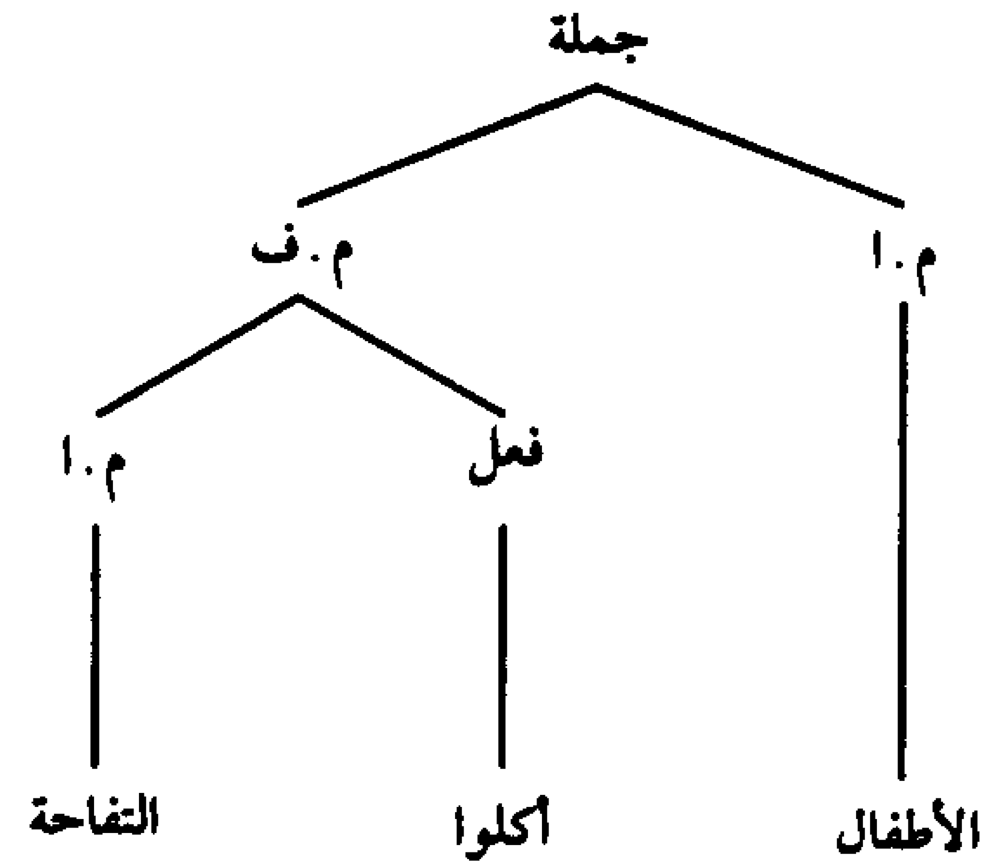
٤ ـ قضية الضمير

في كل الأمثلة الواردة في كتب اللسانيات المحررة بالعربية والخاصة بباب النحو التحويلي، نلاحظ أن الفاعل والمبتدأ يأتيان دائماً مفردين وهذا ليس من باب الصدفة وإنما القصد منه إخفاء الصعوبات فالتحليل:



يظهر مسايراً تماماً لما يجري في تحليل اللغات الغربية، ولا يظهر هذا معارضاً للإعراب التقليدي، ولكننا في الحقيقة أخفينا الفاعل المستتر الذي تقديره (هو)

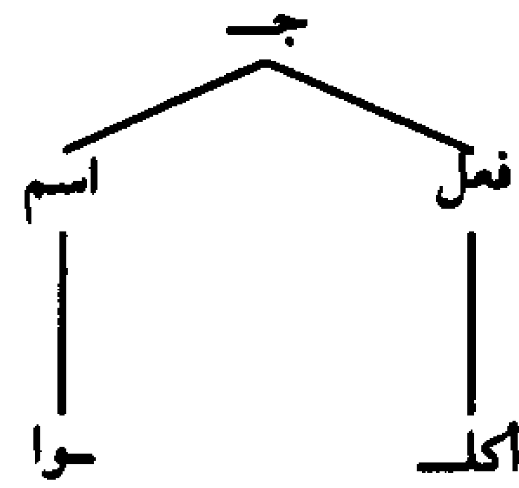
أما في الجمع فالتحليل:



يظهر لنا أن القاعدة:

فعل ← أكلوا

مخالفة لما قاله النحويون العرب من أن الواو ضمير وهو في محل رفع فاعل، فتحليلهم كان كالآتي:



ومن جهة أخرى فإن الجملة (خرج زيد) لا تكافىء (زيد خرج) لأن في الجمع: (خرج الأطفال) لا تعطي (الأطفال خرج) بتبديل الموقع و(الأطفال خرجوا) لا تعطي (خرجوا الأطفال).

فنحن أمام صعوبة جديدة تجعل من المبدإ الذي يرى أن الترتيب الأصلي في الجملة هو: اسم + فعل، مبدأ غير طبيعي بالنسبة للعربية. واعتماده يقود إلى ممارسات معقدة تخالف بساطة التحليل التقليدي.

٧	قضايا تجديد تعليم النحو

١ ـ تعدد النظريات وأثرها على التعليم

إن المحلل لما يجري على مستوى البحث اللغوي سيلاحظ بدون شك سرعة تعاقب النظريات، وكثرة المصطلحات وتضارب المفاهيم. ولكن رغم هذا الاختلاف في الرؤى وأحياناً الصراع بين المدارس فهناك مكتسبات على مستوى المنهج والمفهوم لا يمكن إنكارها.

فمفاهيم مثل الفونيم، والصفات المميزة، والدليل اللغوي، والمرفيم، والوظائف اللغوية، والمحور الخطي، والمحور التعويضي. . . لا يمكن لأي مدرسة من المدارس أن تستغني عنها. وإلى جانب هذه الأعمال النظرية البحتة فهناك مئات الأعمال التطبيقية التي تجري سنوياً في إطار مدرسة من المدارس حول قضايا دقيقة تخص معظم اللغات كأجزاء الكلام، وقضية الزمان في الفعل، وأنواع الضمائر، والمحددات، والجمل الاستفهامية، وصيغ المطاوعة، والنفي إلخ. . .

كل هذه الأعمال تدل على أن علم اللغة ما زال نشيطاً، وأنه ليس فقط فلسفة حول أعقد نظام وأهمه بالنسبة للإنسان. ولا شك أن لهذه الأعمال أثراً على المستوى التعليمي، وبالفعل، فإن كثيراً من البلدان، جددت تعليم لغاتها وأحدثت عصرنة في درس القواعد.

ولكن هذه العصرنة التي استعملت في مرحلة أولى: النحو البنيوي، وفي مرحلة ثانية: نحو شومسكي، جاءت بإيجابيات وسلبيات تتمثل أساساً في أمرين:

أ ـ الشق الإيجابي كامن في تبسيط القضايا، والتقليل من المصطلحات، وإعطاء فكرة واضحة عن البنى الأساسية للغة التي حصرت في بعض الجمل البسيطة الأساسية.

ب ـ أما العنصر السلبي، فيكمن في كون النماذج المحللة بسيطة أكثر من اللازم؛ وذلك لأن التحليل الحديث عندما يتناول جملاً ثرية يصبح معقداً بحيث أنه لا يفهم إلاّ من طرف المتخصص، وفي هذه الحالة فالنحو التقليدي يكون أنجع.

وفي هذا الصدد كتب في تقرير حرر من طرف أساتذة ومفتشين من بلجيكا حول البرامج الجديدة للقواعد ما يلي: «إذا كان من الطبيعي أن ترجع الجمل العادية إلى جمل بسيطة حتى يسلط الضوء على المكانزمات الأساسية للغة. فإنه من جهة أخرى غير مقبول أن نحدد النشاط اللغوي للأطفال ونقصره على إنتاج هذه الجمل المعدودة، أي على كلام بدائي لا يتناسب مع الكلام الذي ينتجونه عادة».

٢ ـ كتب القواعد الحديثة

كتب القواعد الحديثة موجهة لجمهور واسع، ولذا فإنها لا يمكن أن تستعمل مصطلحات اللسانيين الدقيقة، ولا مفاهيمهم الصعبة، ولكنها توظف هذه المفاهيم وتستعمل الطرق الجديدة في التصنيف والتحليل، إلاً أن هذا التحليل لا يمكن أن يعم كل

مجالات اللغة ولا كل تراكيب الجمل لأنه لم يحل كثيراً من المشاكل، وأصبح معقداً وصعب المنوال.

لذا فإننا نرى كثيراً من المؤلفين يمزجون بين القديم والحديث، لننظر معاً في كتاب (**النحو الأساسي** grammaire de base) لمؤلفه Jean Dubois. تحليلات المؤلف تبنتها كثير من البرامج التعليمية.

هذا الكتاب الصغير (٨٠ صفحة) يحتوي على ٢٠ باباً.

الأبواب العشرة الأولى ـ التواصل، المكتوب والمنطوق، النطق والإملاء، قواعد النحو وقواعد الاستعمال، النص والجملة، الاستفهام والجواب، الأمر والنهي، التعجب، النفي ـ ذات طابع كلاسيكي محدث يمكن أن ترد ضمن برنامج أي لغة.

ثم تأتي أربعة أبواب (١٢ صفحة)، عناوينها: تحليل الجملة إلى مركبات، أجزاء المركبات (وهي هنا أجزاء الكلم: الفعل، الاسم، الحرف، النعت. . .)، المركب الفعلي، المركب الاسمي.

وأخيراً مجموعة من الأبواب ذات طابع كلاسيكي محدث: الأسماء، العدد، الجنس، المحدد والنعت، الضمائر، الفعل، الزمان إلخ. . .

التحليل النحوي في هذا الكتاب مبني على تقسيم الجملة حسب نظرية شومسكي أي أنها مجزأة إلى مسند إليه يحتوي على الفاعل مع مكملاته وهو ما سمي بالركن الاسمي، وعلى مسند مكون عموماً مما تبقى من الجملة.

٣ ـ عناصر التجديد

يخيل للمتأمل في الكتب التعليمية الحديثة أنها تستعمل آخر

النظريات اللغوية أي نظرية «شومسكي»، ولكن هذه النظرية مرت بمراحل مختلفة أولها الاقتصار على نموذج نحو المركبات المباشرة، مكتفية بإعطائه شكلاً رياضياً أي شكل نحو صوري له مصطلحاته: جملة، مركب اسمي، مركب فعل. . . وطرق اشتغاله (قواعد التعويض)، وكل هذا موروث مباشرة عن اللساني «هاريس» Harris الذي حسن ونظر نموذج «بلومفيلد».

بحيث أنه يمكن القول بأن جل ما هو وارد في هذه الكتب هو موروث عن البنيوية عامة وعن البنيوية الأمريكية خاصة.

وهناك أشياء كثيرة استفادت منها هذه الكتب: عدم الاعتماد على المعنى لتحديد الوحدات، إجراء التصنيفات والتجزيئات حسب مبدإ الوظيفة، إعطاء الأهمية للتبليغ، وكل هذا تجلى في مواقع كثيرة. ولكن أبرز شيء ظهر في هذه المؤلفات هو:

أ ـ **تصنيف الوحدات حسب الاتحاد في السياق**، وهو شيء في الحقيقة مستعمل بصفة لا شعورية من طرف النحاة القدامى، فأسماء الإشارة مثلاً لا تكون صنفاً فقط لأن لها مدلولاً معيناً، ولكن أيضاً لكونها تظهر في نفس السياقات، فنقول:

هذا الرجل	هذه المرأة	هذا من فضل ربي
ذلك الرجل	تلك المرأة	ذلك من فضل ربي

أي أن السياقات التي يظهر فيها عنصر من هذه الفئة هي سياقات يصلح أن يظهر فيها أي عنصر آخر من نفس الفئة.

ويمكن ملاحظة هذا أيضاً بالنسبة لحروف الجر، فجعلها في صنف واحد ليس خاضعاً فقط لكونها تعطي الاسم علامة الجر،

فالإضافة تهبه أيضاً هذه العلامة، ولكن هذه الحروف لها سياقات متطابقة فهي ملاصقة للاسم أو مفصولة عنه بعناصر معينة.

بالدار بهذه الدار في الدار في هذه الدار

ولكن الجديد في الأمر هو أن استعمال السياق استعمال شبه مطرد، وأنه اتخذ كطريقة بيداغوجية.

وما سمي بالتمارين البنيوية les exercices structuraux ما هو إلاّ استعمال واستغلال العلاقات التعويضية، وتشابه البنى في سياقات لا تتغير، أو تحدد هذه البنى إن تغيرت.

ب) نقل الوظائف من الكلمة إلى المركب

المركب syntagme في اللسانيات البنيوية هو سلسلة من المرفيمات تكوّن وحدة في تنظيم سُلَّمي أي حيث تكون العلاقات منظمة حسب مستويات، والمركب ينعت بالوظيفة التي يؤديها، فهو مركب فعلي، أو مركب اسمي أو مركب إسنادي، أو مركب الفاعل، أو مركب المفعول، الخ...

ففي:

جاء (هؤلاء الأولاد) جاء (خمسة أولاد)

جاء (الأولاد الصغار) جاء (بعض الأولاد)

جاء (هؤلاء الأولاد الصغار) جاء (خمسون ولداً)

الفاعل ليس الاسم وحده أو أحد محدداته وإنما هو كل المركب الاسمي الذي وضع بين قوسين، وهذا شيء منطقي، فالذي (جاء) ليس (خمسة) في (جاء خمسة أولاد) ولا (الأولاد) بصفة عامة وإنما الاسم ومحدداته.

وإحالة الوظائف إلى المركبات لا يطرح مشكلاً نظرياً، ولكنه يظهر متضارباً مع النحو التقليدي الذي يوكل هذه الوظائف إلى الكلمات بمفردها، إلاّ في حالة إعراب الجمل.

٤ ـ مقترحات للتجديد

إن تجديد تعليم النحو في العربية لا يستطيع أن يكون مسايراً كل المسايرة ما يجري في اللغات الغربية، وذلك لانفراد لغتنا ببعض الخصائص التي لها أثر عميق على المستوى التعليمي.

وكل تجديد يلزمه أن يكون نابعاً من بحث نظري عميق، ومن مراعاة سهولة التطبيق، وشموليته.

وما نقترحه في الأبواب الآتية هدفه تعليمي أكثر مما هو نظري بحت، والغرض منه فتح الأبواب لمجال البحث التربوي في ميدان تجديد نحونا.

٨ المركب الاسمي

١ ـ تخصيص الاسم

المحدد (déterminant) هو كلمة (أو مجموعة كلمات) تحدد مجال الاسم بتخصيصه، وتحديد محتواه، والتخصيص (actualisation) هو نقل الكلمة من معناها العام (الأرض) مثلاً إلى معنى خاص (الأرض القاحلة).

والمحددات ترافق الاسم داخل المركب الاسمي، ففي:

السيارة	سيارتي	سيارة السباق
هذه السيارة	سيارة سمير	هذه السيارة القديمة
خمس سيارات	سيارتي القديمة التي مرت عليها عشر سنوات	

كل من: (الـ)، (هذه)، (خمس)، (ي)، (سمير)، (السباق)، (القديمة)، (التي مرت عليها عشر سنوات) يمثل محدداً.

ويقسم «مارتيني» المحددات إلى محددات معجمية مثل: (القديمة، سمير)

ومحددات نحوية مثل (الـ، هذه، ـي)، كما أنه يرى أن المحدد لا يملك في الجملة إلا وظيفة ثانوية وذلك لأنه لا يشارك في تركيب الجملة إلا بواسطة الاسم الذي يتبعه.

أما البنيويون فإنهم:

ـ يخصصون كلمة محدد (déterminant) للمحددات النحوية (الأدوات)، كأداة التعريف واسم الإشارة، والعدد، وكل، وبعض، الخ... وهي غالباً ما تسبق الاسم كما نرى في المثال:

الـ هؤلاء الـ خمسة بعض الـ كل الـ	أولاد يحبون كرة القدم

ويستعملون مصطلح (modificateur) لباقي المحددات وهي النعت، والمضاف إليه، وصلة الموصول.

وذلك مثل:

اشتريت سيارة **جديدة**

اشتريت سيارة **جارنا**

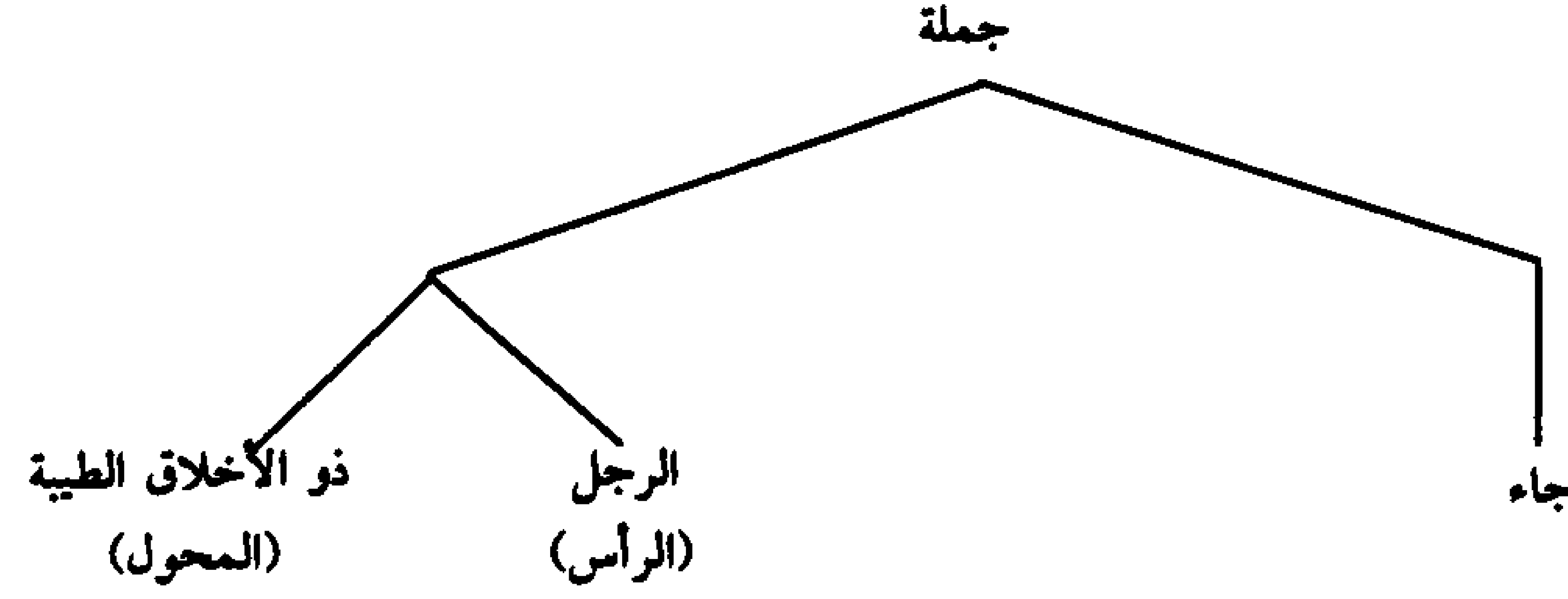
اشتريت السيارة (**التي كانت بالمعرض**)

ومن ناحية نحو المركبات المباشرة، فإن البناء الذي يكون فيه مركب من المركبات له توزيع هذا البناء (أي أنه بإمكانه أن يعوضه) يسمى بناء داخلي المركز endocentrique، والمركب المشار إليه يسمى **الرأس** (tête) أو **العمدة**، أما المركب الآخر **فهو المحول** ففي:

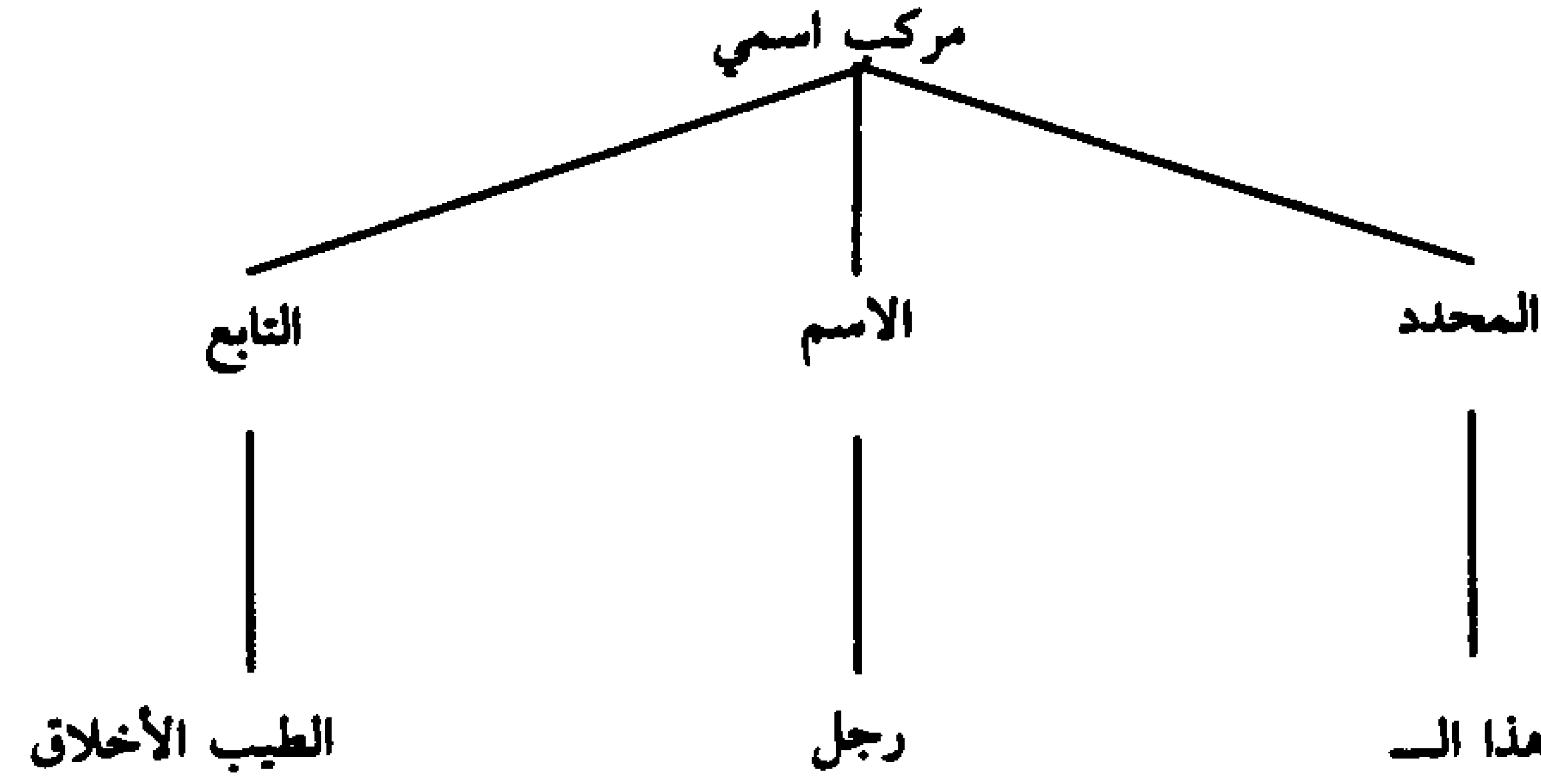
الرجل ذو الأخلاق الطيبة.

البناء **داخلي المركز**، لأننا نستطيع أن نعوض في الجملة (جاء الرجل ذو الأخلاق الطيبة) البناء (الرجل ذو الأخلاق الطيبة)

بالمكون (الرجل) فتقول (جاء الرجل)، ويكون الرجل **رأساً** و(ذو الأخلاق الطيبة) **محولاً**.



ويكون المركب الاسمي في غالب الأمور مكوناً كالآتي:



ملاحظات

١ ـ تحدد اللغات الاسم داخل المركب الاسمي بطرق متشابهة عموماً ولكنها تختلف أحياناً من ناحية الرتبة وتجاور الوحدات.

فالضمير في الفرنسية يأتي قبل الاسم وله توزيع أدوات التعريف ولذا فإنهم يعدونه كمحدد (كتابنا) notre livre (كتابي) mon livre، (الكتاب) le livre.

أما في العربية فإن الضمير يلعب دور المضاف إليه:

كتاب سعاد، كتابنا، كتابي

وهو إذن ينتمي إلى التوابع، وهذا الانتماء موافق للمعنى، فعندما نقول: (كتابك)، (كتاب محمد)، فالضمير في وضع الاسم من ناحية المعنى، فعلاقة الكتابة بالمخاطب هي علاقته بالاسم (محمد)، هذه العلاقة هي الملكية، وإنما اختاروا في الفرنسية وضعه مع المحددات لأنهم أعطوا الأولوية للسياق.

هذا المثال يرينا أن تصنيف مخصصات الاسم فيه شيء من الاصطناع، خصوصاً وأن الرتبة ليست دوماً محترمة فأنت تقول:

Les livres beaux, Les beaux livres, les trois livres

وضعنا النعت beaux (جميل) تارة بعد الاسم وتارة بين أداة التعريف والاسم في موقع العدد trois (ثلاثة).

٢ ـ في بعض الأحيان يرفض تراكم المحددات في لغة ويقبل في أخرى. في الفرنسية يقال

Le livre, ce livre

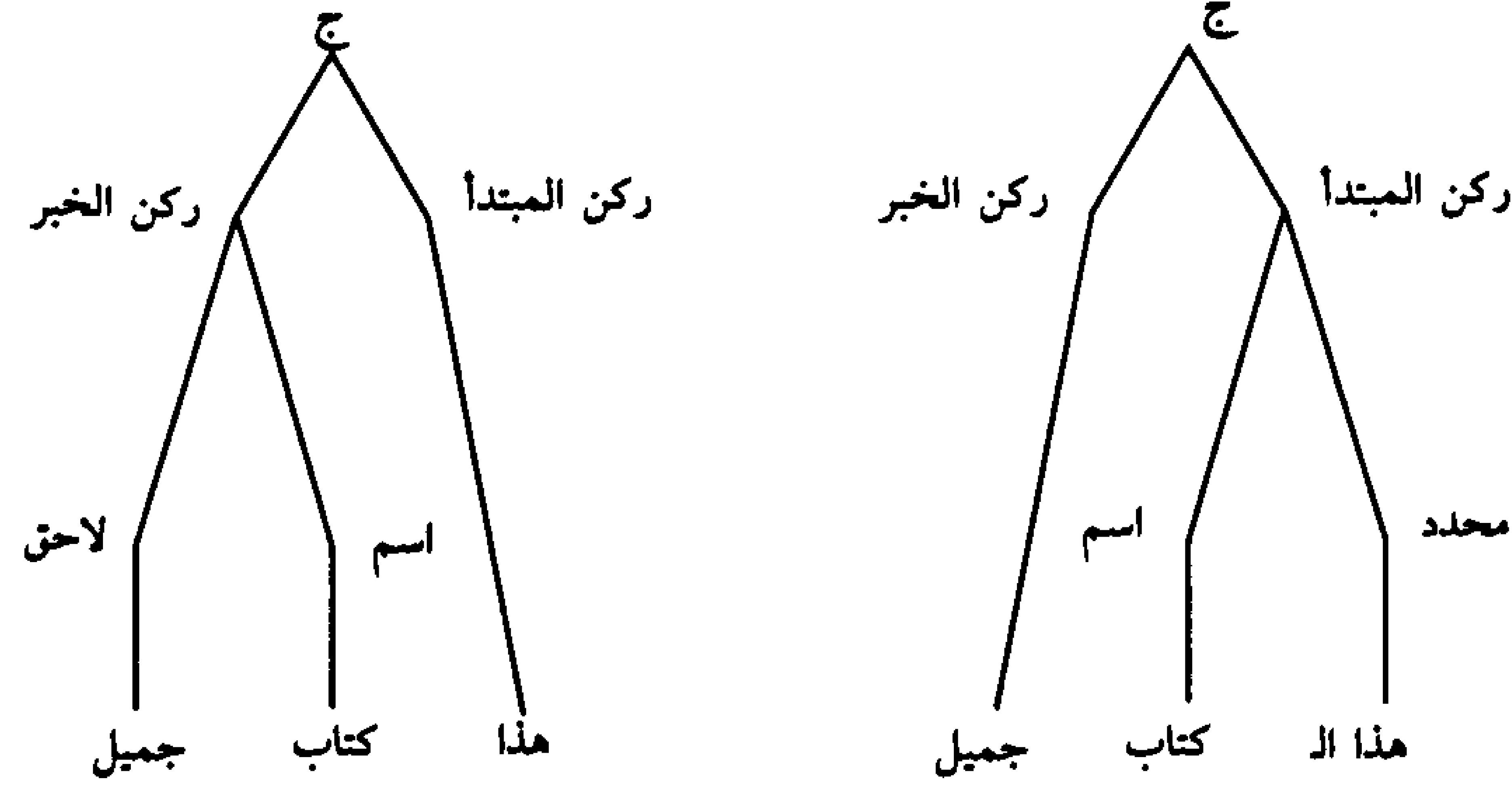
بينما في العربية يتجاور المحددان فنقول:

(الـ) كتاب، (هذا الـ) كتاب

أما في (هذا كتاب) فإن اسم الإشارة لا يلعب دور التابع وإنما هو مبتدأ، وتحليل الجملتين:

(هذا الكتاب جميل)، و(هذا كتاب جميل)

يكون حسب الدليل التركيبي:



أي حسب التقسيم:

(هذا الكتاب): (جميل)　　　(هذا) (كتاب جميل)

ويمكن اعتبار (هذا) في الجملة الثانية محدداً لمشار إليه محذوف بحيث أن الجملة تكون أصلاً كالآتي: هذا (الشيء) كتاب جميل.

٢ ـ أداة التعريف

أداة التعريف هي أهم المحددات وهي تلعب في العربية دوراً هاماً، وتعين في كثير من الأحيان وظيفة الاسم عند التحاقها به أو غيابها عنه ففي الجمل الآتية:

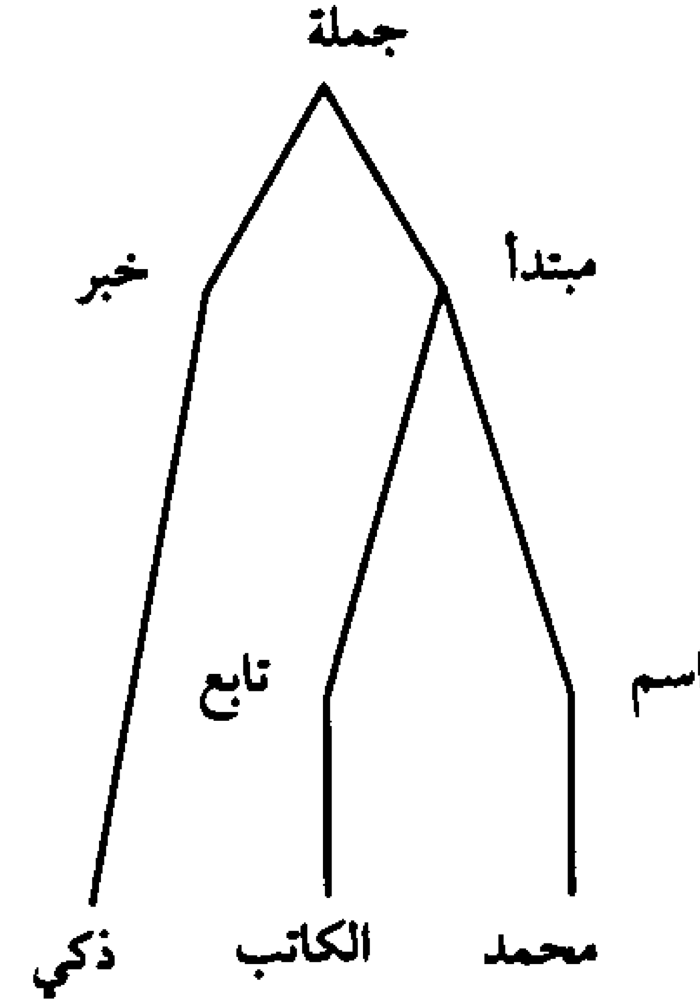
1 ـ المطر الغزير متهاطل　　　محمد الكاتب ذكي

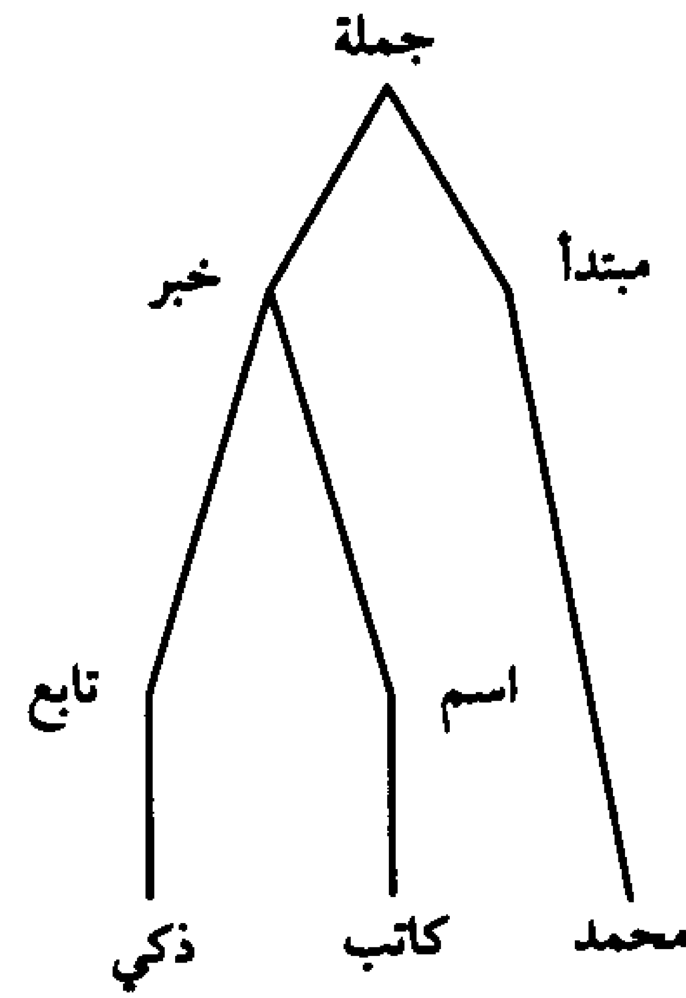
المطر غزير　　　محمد كاتب ذكي

تكون المركبات المباشرة كالآتي:

(المطر الغزير) (متهاطل)　　　(محمد الكاتب) (ذكي)

(المطر) (غزير) (محمد) (كاتب ذكي)





نرى أن (الغزير) تابع للمبتدإ وأن (غزير) غير تابع له، فهو خبر. كما أن (الكاتب) تابع للمبتدأ، فهو بدل، و(كاتب) غير تابع له.

فأداة التعريف هي التي ميزت بين التركيب والوظائف.

ونفهم إذن لماذا يتبع النعت المنعوت في التعريف بينما نراه في الفرنسية لا يحقق هذا الشرط فنقول: le garçon courageux (الطفل الشجاع) ولا نقول: (le garçon le courageux) زيادة على هذا فإن التعريف في الفرنسية ثقيل، فهو يستعمل أدوات مختلفة حسب العدد والجنس: (le, la, les, un, une, des)، فلو كان التابع يساير الاسم الرئيسي في التعريف والتنكير لقلنا:

Le garçon le courageux, la fille la courageuse, les garçon les courageux

un garçon un courageux, une fille une courageuse, des garçons des courageux

مما يكون بدون شك مستثقلاً استثقالاً شديداً.

أما العربية فإن أداة التعريف فيها لينة، بسيطة، فهي غالباً حرف

واحد في النطق: لام ساكنة وقد تدغم في الحرف الذي يتلوها إن كان شمسياً ـ بحيث أنها تصير فقط عنصراً من النغم هو التشديد، فلا تؤنث هذه الأداة ولا تجمع.

وتقابل علامة التعريف علامة النكرة التي هي نون نهائية خفيفة النطق أيضاً. فهذا الاقتصاد في النطق جعل التعريف والتنكير بورودهما أو غيابهما يلعبان أدواراً مختلفة في بنية الجملة.

فعند تجاور اسمين نكون أمام ثلاث حالات:

ـ التوافق بين الاسمين: (ابن كريم) أو (الابن الكريم)

ـ الأول معرف والثاني نكرة: (الابن كريم)

ـ الأول مجرد من أداة التعريف والثاني معرف: (ابن الكريم)

وتوزيع أداة التعريف وحده مكن من تغير وظيفة لفظ (كريم) فهي نعت في الحالة الأولى، وخبر في الثانية، ومضاف إليه في الثالثة.

وقد يجتمع أكثر من اسم في الجملة مثل:

ابن كريم ذكي	الابن الكريم الذكي
ابن الكريم الذكي	ابن الكريم ذكي
الابن كريم ذكي	الابن الكريم ذكي
ابن كريم الأصل	الابن كريم الأصل

هذه الجمل أو شبه الجمل تمثل كل الاحتمالات الممكنة لمواقع أداة التعريف قبل المفردات الثلاث. ونلاحظ أن كل التراكيب مستعملة مما يرينا القدرة البالغة للغة العربية التي قد تستغل أبسط شيء لإنتاج العديد من بناها.

٣ ـ مواقع المحددات من الاسم

للمحددات ثلاثة مواقع:

ـ إما أن تأتي قبل أداة التعريف وتسمى **محدداً سابقاً** (prédéterminant)

ـ أو تأتي مكان أداة التعريف

ـ أو تأتي بين أداة التعريف والاسم وتسمى **محدداً لاحقاً** (postdéterminant)

١ ـ فما جاء قبل أداة التعريف في العربية هو:

ـ أسماء الإشارة: (هذا الرجل، تلك المرأة، هؤلاء الرجال)

ـ (أحد، كل، بعض، غالب، جل، مختلف) (كل الرجال، بعض النساء، غالب الناس)

٢ ـ وما جاء مكان أداة التعريف هو العدد في العربية:

خمسة رجال، أحد عشر رجلاً

٣ ـ أما ما جاء بين أداة التعريف والاسم فهو غير وارد في العربية، لأن أداة التعريف عندنا لا تفصل عن الاسم، ولكن الفرنسيين يقولون:

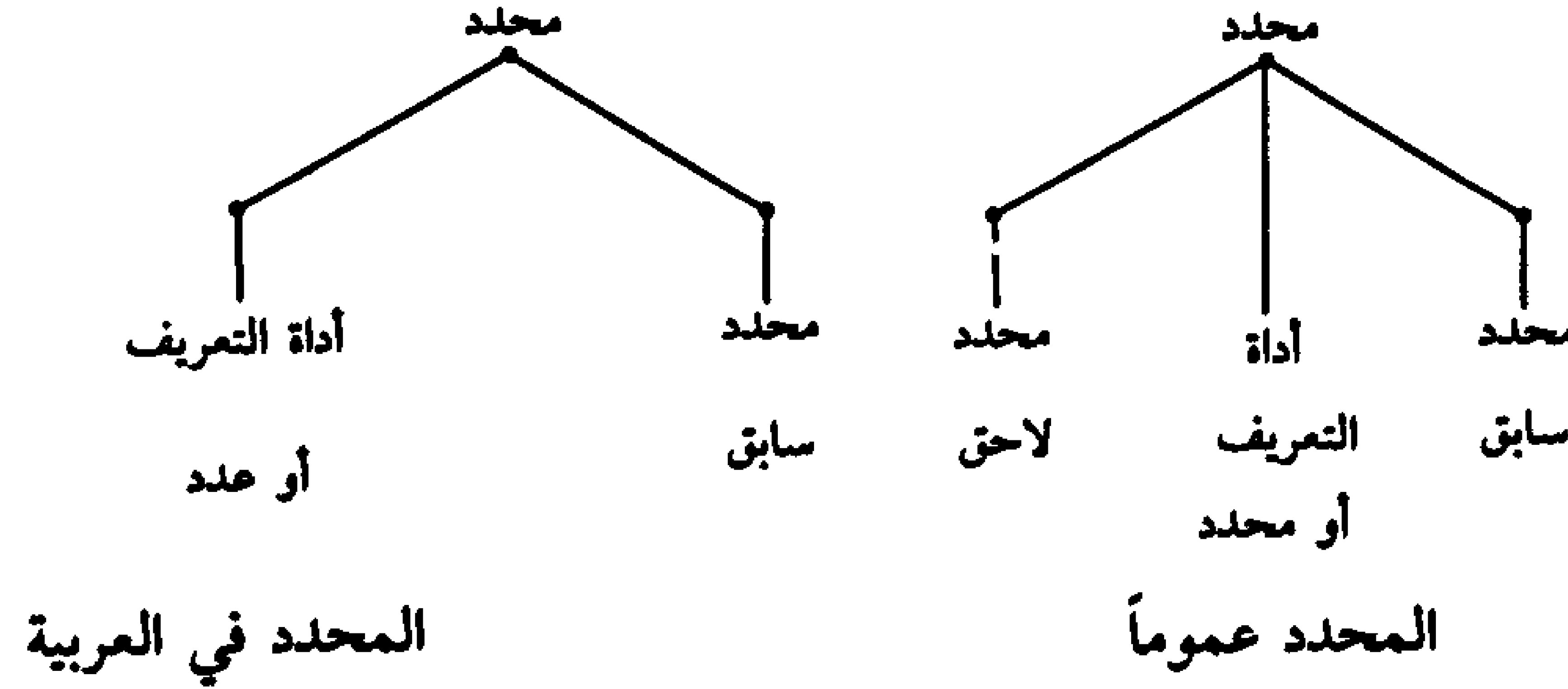
les divers jours	les quelques jours	les différents jours
أنواع الأيام	بعض الأيام	مختلف الأيام

حيث المحددات (différents, quelques, divers) وضعت بين أداة التعريف والاسم.

وعلى إثر هذا يكون تصنيف المحدد كالآتي:

المحدد ينقسم إلى: محدد سابق، أداة تعريف أو محدد، محدد لاحق. وفي العربية، ينقسم إلى محدد سابق، أداة تعريف أو عدد.

ويمكن تمثيل هذا كالآتي:



ملاحظات

١ ـ نلاحظ من جديد أن اللغات تتعامل مع الرتب بطريقتها الخاصة. فبالنسبة لنفس الوحدة نرى أن بعضها تضعها في الرتبة الأولى وبعضها مكان أداة التعريف وبعضها في الرتبة الثالثة.

٢ ـ قد يتبادل المحدد مع النعت الأدوار والمواقع، فتقول في العربية:

(مختلف الأيام) والفرنسية (différents jours) وعند التعريف لا تقول:

(المختلف الأيام) بل تقول (الأيام المختلفة)، أما في الفرنسية فإنك تقول (les différents jours) أو (les jours différents) مستعملاً نفس الكلمة تارة كنعت وتارة كمحدد، فهل المحدد هو قبل كل شيء مفهوم موقعي قبل أن يكون وظيفياً ودلالياً؟

٣ ـ تُعامِل العربية الحديثة عبارة (نفس) كمحدد يأتي قبل الاسم فيقال: **دائرتان لهما نفس المركز** (١) ويرفض المعياريون هذا الترتيب ويزعمون أن الأفصح هو وضعه بعد الاسم: **دائرتان لهما المركز نفسه** (٢). ولكن الجملتين (١) و(٢) غير متكافئتين دلالياً، فالجملة الأولى تعني الاشتراك في المركز ولكن هذا المركز غير معين وقد يكون متغيراً، أما الثانية فإنها تعني أن المركز معين أي أنه ثابت.

وخوفاً من الخطإ اللغوي نرى اليوم من يستعمل (ذات) مكان (نفس) فيقول: دائرتان لهما ذات المركز (٣).

ولا يمثل هذا حلاً للمشكل. فالذات هي مرادف النفس وما عِيب على الجملة (١) الأولى قد يعاب على الجملة (٣).

وإصرار الأغلبية من الناس على استعمال كلمة (نفس) كمحدد سابق للاسم، والشعور بالثقل وعدم الإيفاء بالمعنى أمام جمل مثل:

تملك الاتجاهات نفسها، أخذنا العلامة نفسها، نسكن المدينة نفسها،

دليل على أن هناك حاجة لاستعمال تراكيب مثل:

نفس الاتجاهات، نفس العلامة، نفس المدينة.

الشبيهة من ناحية التوزيع بالتراكيب: **كل الاتجاهات، كل العلامة، كل المدينة.**

٤ ـ قضية إعراب الاسم ولواحقه

لننظر إلى الجمل الآتية:

جاء صاحب الدار   جاء كل المدعوين   جاء هذا الرجل

إنها تجزأ إلى: فعل (جاء)، ومركب اسمي.

(جاء) (صاحب الدار) (جاء) (كل المدعوين) (جاء) (هذا الرجل)

و(جاء) هو المسند، والمركب الاسمي بأكمله هو المسند إليه، وهو هنا: فاعل.

ولكن في بعض الإعراب التقليدي الفاعل هو المرفوع، وإذا نظرنا إلى ما يلي:

جاء صاحب   ،   جاء كل   ،   جاء هذا

فإنه يتبين لنا أن المعنى ينفي أن يكون الفاعل الحقيقي هو (صاحب) أو (كل) أو (هذا). هناك إذن تضارب بين المفهوم التقليدي للنحو الذي يربط الوظيفة بالحركة الإعرابية وبين المفهوم البنيوي الذي يربطها بالعلاقات التركيبية (جوار، تعويض، تلازم).

وهذا التضارب يكون عائقاً في طريق تجديد تعليم النحو.

فأحياناً يمكن التوفيق بين القديم والحديث فنقول إن الفاعل في:

جاء أستاذنا، جاء الأستاذ القدير، جاء الأستاذ الذي كنا نتمناه

هو (أستاذ)، وهو لا يتعارض مع المفهوم القديم للفاعل ولا مع مفهوم بعض المحدثين إذ أن (أستاذ) هو المكون الرئيسي أو العمدة في ركن المسند إليه، ولكن في:

جاء هذا الرجل	جاء خمسة رجال	جاء عشرون رجلاً
رأيت هذا الرجل	رأيت خمسة رجال	رأيت عشرين رجلاً
مررت بهذا الرجل	مررت بخمسة رجال	مررت بعشرين رجلاً

العمدة في المركب الاسمي عاملته اللغة بثلاث طرائق مختلفة، فتارة هو مساير للإعراب وتارة هو مجرور في كل الحالات وتارة هو منصوب في كل الحالات.

ويكون إعرابه التقليدي مختلفاً في كل حالة، مع أن بنية المركب الاسمي لا تتغير فهي من النمط:

محدد	+	اسم
هذا الـ		رجل
خمسة		رجال
عشرون		رجلاً

والمركب الاسمي بأكمله يلعب دور الفاعل المرفوع أو المفعول المنصوب أو المجرور بالحرف، إلا أن الحركات الإعرابية داخل المركب توزع بطرق مختلفة بين المحدد والاسم الرئيسي. وتحديد قواعد تعيين هذا التوزيع يشكل بدون شك محور بحث شيق يربط الحاضر بالماضي.

٩ المركب الفعلي

١ ـ مكونات المركب الفعلي

المركب الفعلي هو كل مركب مكون من فعل ومفعول أو مفاعيل مرتبطة به. فهو: فعل مثل: زيد **جاء**

أو فعل + مفعول به، مثل: زيد **أكل التفاحة**

أو فعل + مفعول حرفي، مثل: زيد **ذهب إلى المدينة**

والمفعول الحرفي هو المفعول الذي يتعدى إليه الفعل بواسطة الحرف. ويضيف اللسانيون إلى هذه الصيغ صيغاً أخرى خاصة بالأفعال الناقصة؛ لأن لغاتهم تجهل الجمل الاسمية التي لا تحتوي على فعل.

وفي النحو التحويلي يضاف عنصر يسمى **الوسيط** يحتوي على مكون أساسي هو الزمن ومكونات أخرى مثل الصيغة (مبني للمعلوم، مبني للمجهول) تعطي للفعل شكله القريب من مستوى التحقيق انطلاقاً من جذره، بحيث يكون لدينا:

مركب فعلي = وسيط + فعل + مركب اسمي

مثل: يكتب الدرس = وسيط + (كـ، ت، ب) + الدرس

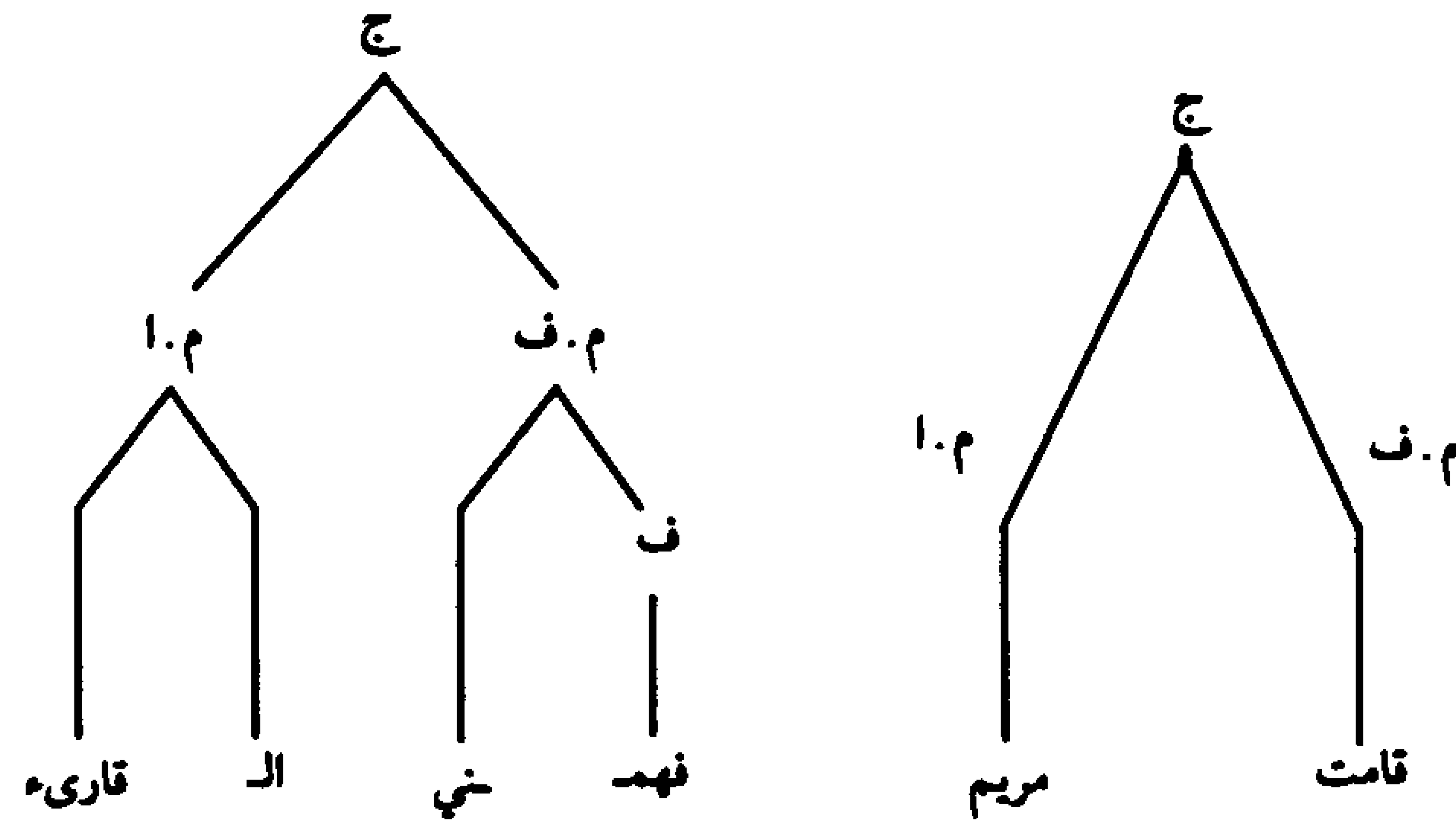
والوسيط هنا مكون من: مضارع، مبني للمعلوم، غائب، مذكر، مفرد.

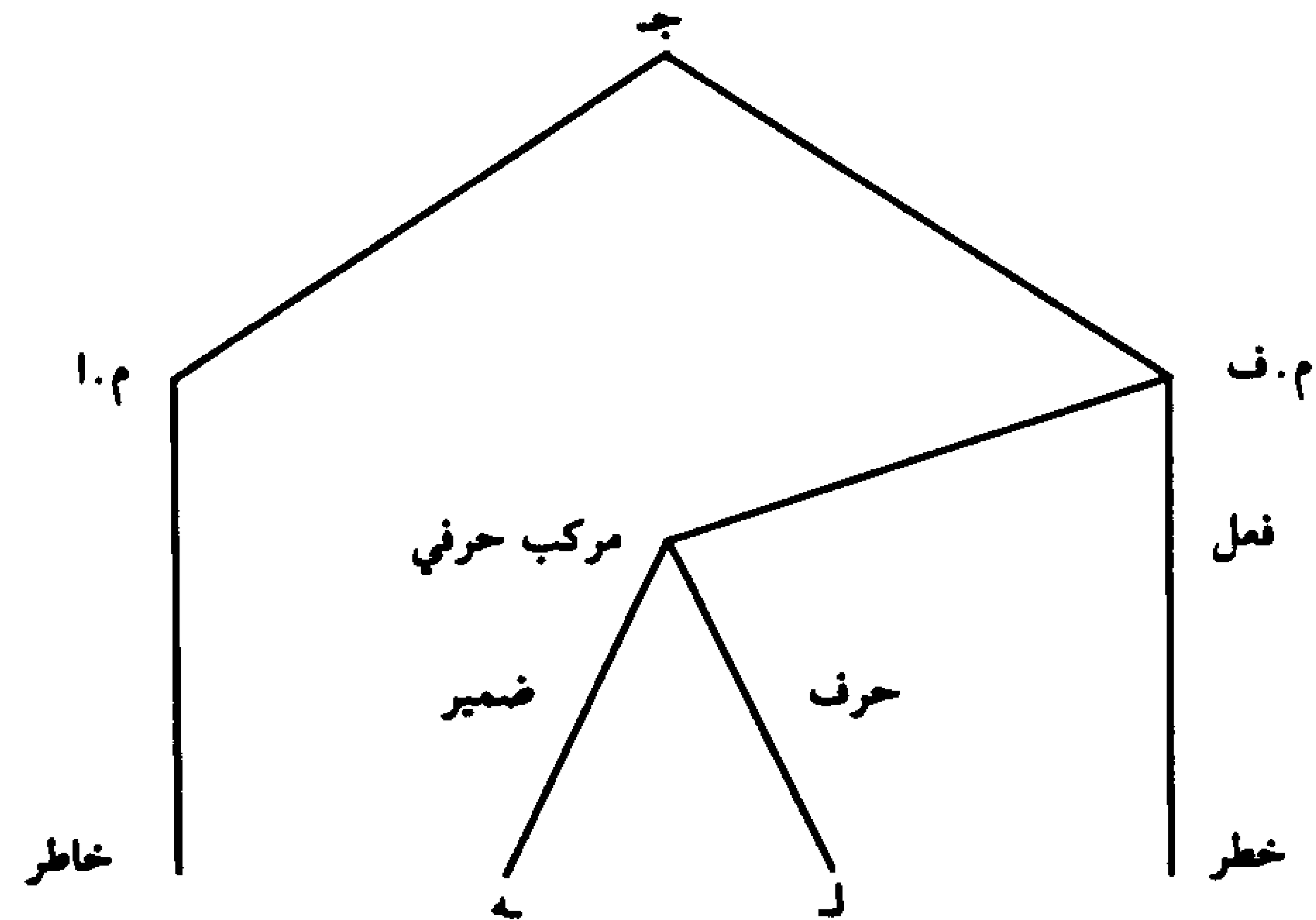
٢ ـ المركب الفعلي المستمر

إذا كان الفعل لازماً أو كان متعدياً يجاوره مفعوله فإن المركب الفعلي يكون مستمراً، وذلك مثل:

قامت مريم، فهمني القارىء، خطر له خاطر،

حيث التقسيم كالآتي:





وهذا التقسيم تابع للقواعد:

ج م ← ف + م ا م ف ← قامت م ا ← مريم	(١)
ج ← م ف + م ا م ف ← فعل + م ا فعل ← فهم م ا ← ني م ا ← محدد + اسم محدد ← الـ اسم ← قارىء	(٢)

إلخ...

٣ ـ المركب الفعلي المتقطع

عندما يفصل الفاعل بين الفعل والمفعول به، فإن المركب الفعلي يكون متقطعاً كما بينا ذلك في الباب السابق، ومثال على هذا:

استنشقت الفتاة زهرة

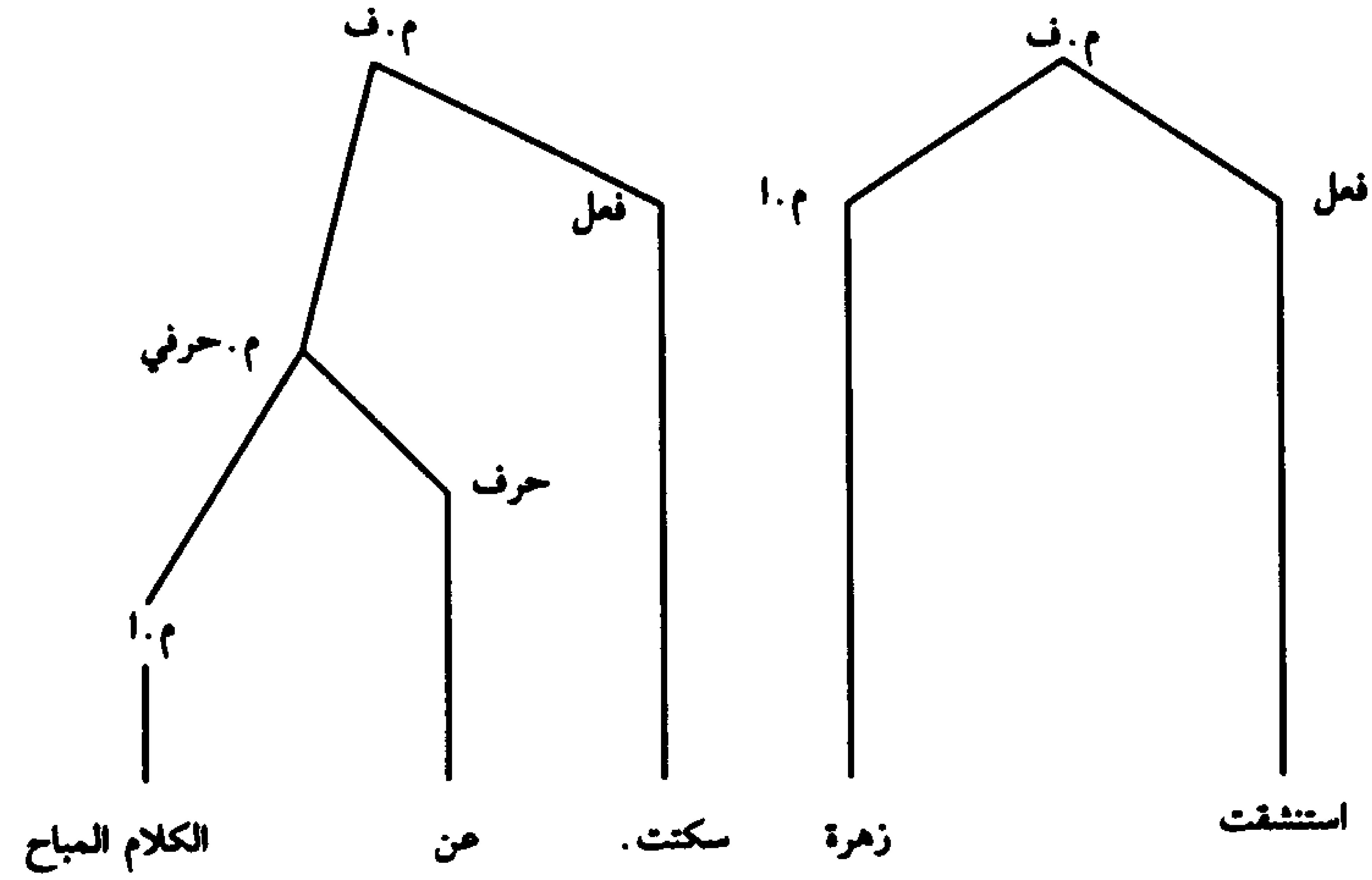
سكتت شهرزاد عن الكلام المباح

فالمركب الفعلي هنا هو:

استنشقت... زهرة

سكتت... عن الكلام المباح

وينقسم كالآتي:



فالانقطاع هنا واقع بين الفعل وما يكمله، ولكن هذه القاعدة ليست مطردة ففي الجمل الآتية:

أسمعنا المغني صوته الجميل

أسمع المغني الحاضرين صوته الجميل

المغني أسمع الحاضرين صوته الجميل

أسمعنا صوته، ذلك المغني البارع.

جاء المسند إليه (المغني) في مواقع مختلفة تاركاً المركب الفعلي تاماً أحياناً ومحدثاً أحياناً انقطاعات في أماكن مختلفة.

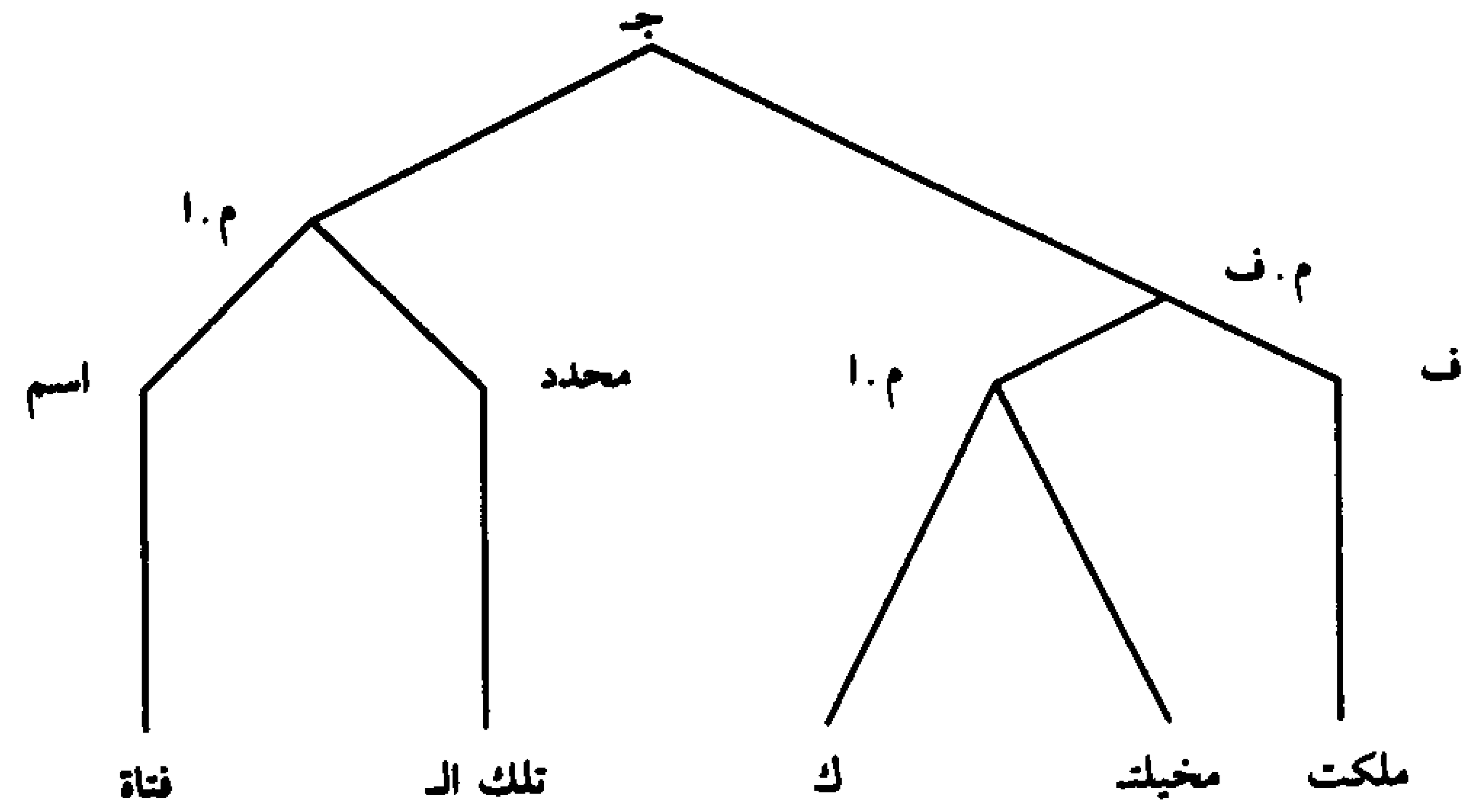
٤ ـ تمثيل المركب الفعلي

لنتأمل الجملتين:

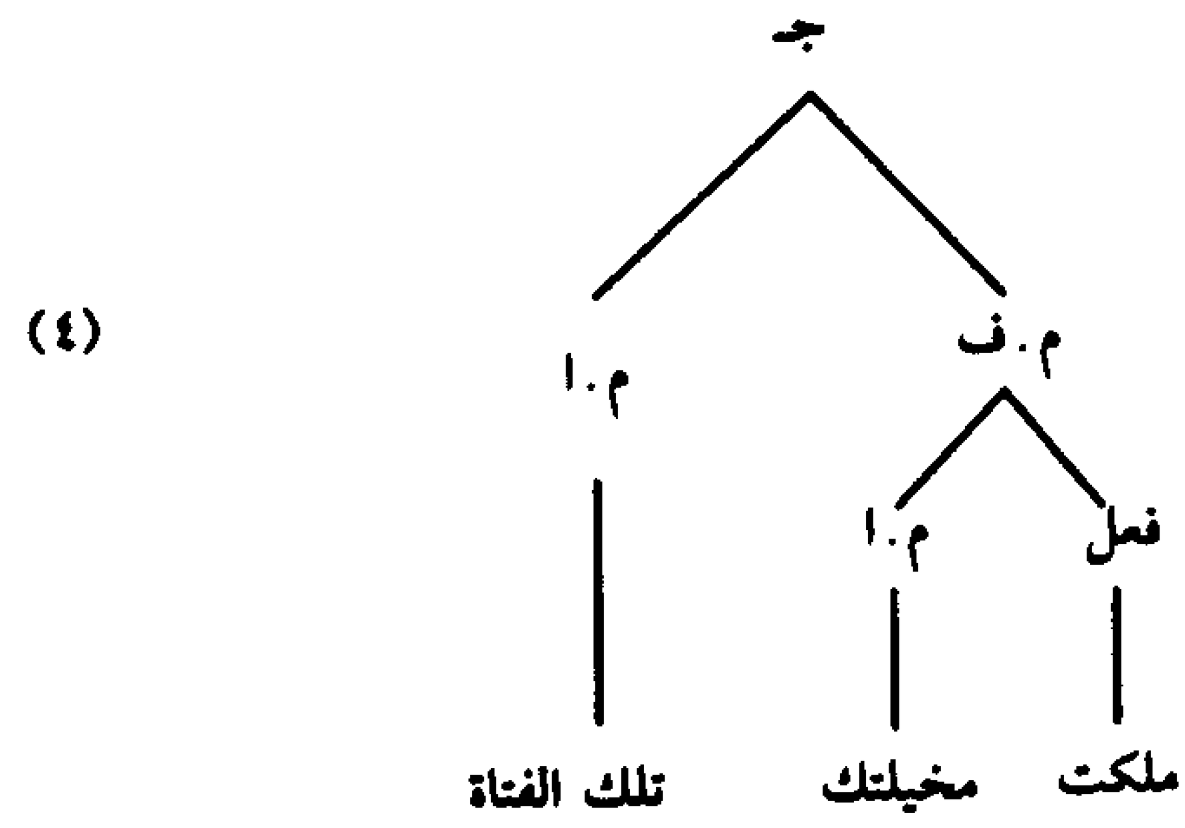
ملكت مخيلتَك تلك الفتاة (١)

ملكت تلك الفتاة مخيلتك (٢)

تحليل الجملة الأولى يكون كالآتي:



(٤)

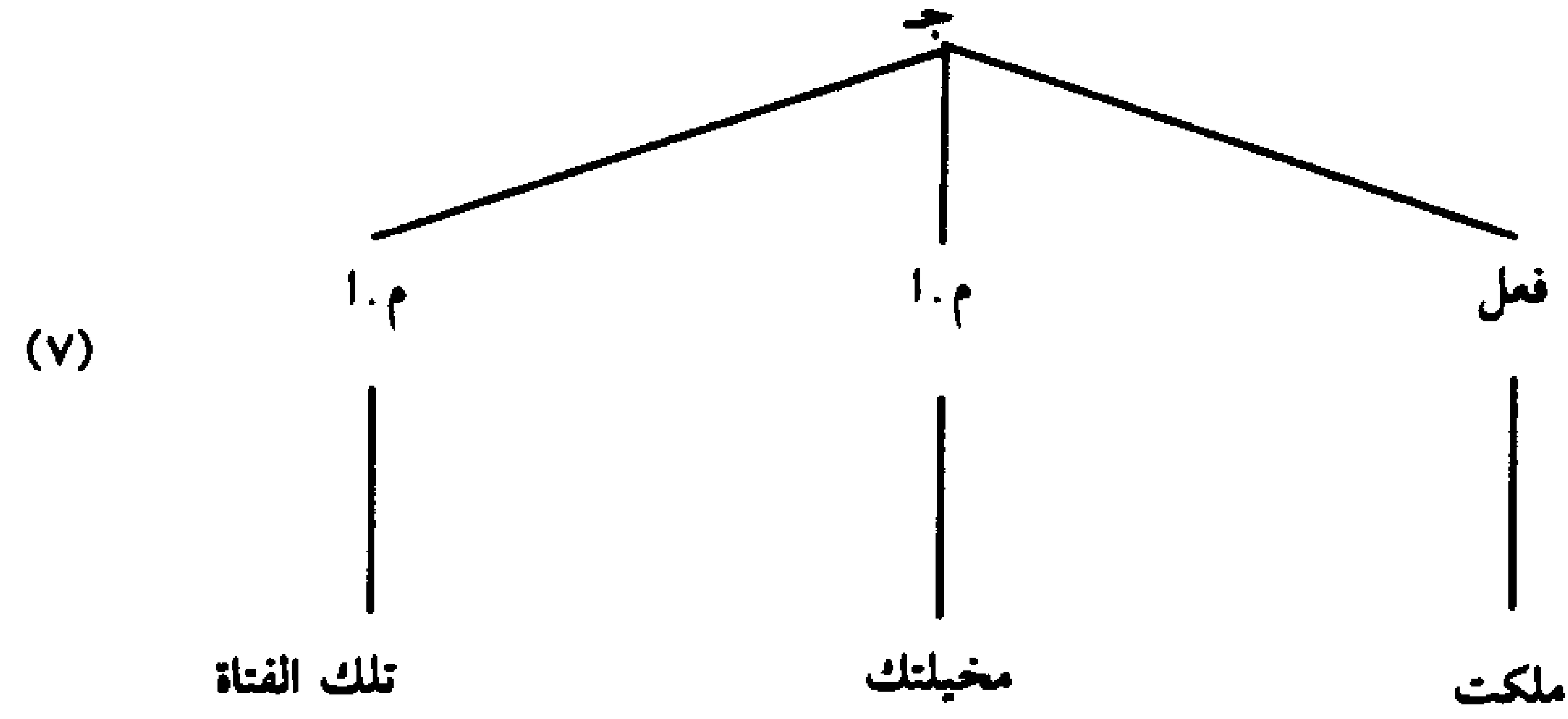


بحيث أن الجملة هنا خاضعة للقاعدتين:

جـ ← م.ف + م.ا (٥)

م ف ← فعل + م ا (٦)

الجملة (٢) لا تختلف عن الجملة (١) إلا في ترتيب الوحدات ولكن، لا يمكن تحديد بنيتها باستعمال القاعدتين (٥) و(٦)، حتى وإن قلبنا مواقع المركبات بشتى الطرق، والتقسيم:



لا يرضينا لأنه لا يظهر لنا أيّاً من المركبين الاسميين هو المسند إليه؟ فهذا التمثيل له قراءتان:

ملكت مخيلتُك تلك الفتاةَ

ملكت مخيلتَك تلك الفتاةُ

بخلاف البيان (٤) الذي يظهر من خلاله أن المسند إليه؛ أي الفاعل، هو: (تلك الفتاة)، وهو يقرأ إذن بطريقة واحدة:

ملكت مخيلتَك تلك الفتاةُ.

ودون اللجوء إلى قواعد تحويلية تغير رتبة الوحدات، لأن استعمالها على المستوى التربوي غير مناسب، فإنه يمكن حل مشكل تمثيل المركب الفعلي المتقطع بصفة مرضية، كالآتي:

١ ـ نقسم المركب الفعلي إلى وحدتين: م ف وم فَ.

م ف: هو المركب الفعلي، م فَ: هو متمم المركب الفعلي.

٢ ـ تكون بنية الجمل الفعلية خاضعة للقواعد:

جـ ← م ف + م ا + (م فَ)
م ف ← ف + (م ا) (٨)
م فَ ← م ا

٣ ـ الأقواس تعني أن الوحدات تستعمل بصفة اختيارية. فإذا لم نأخذ أياً مما هو بين قوسين فإننا نحصل على:

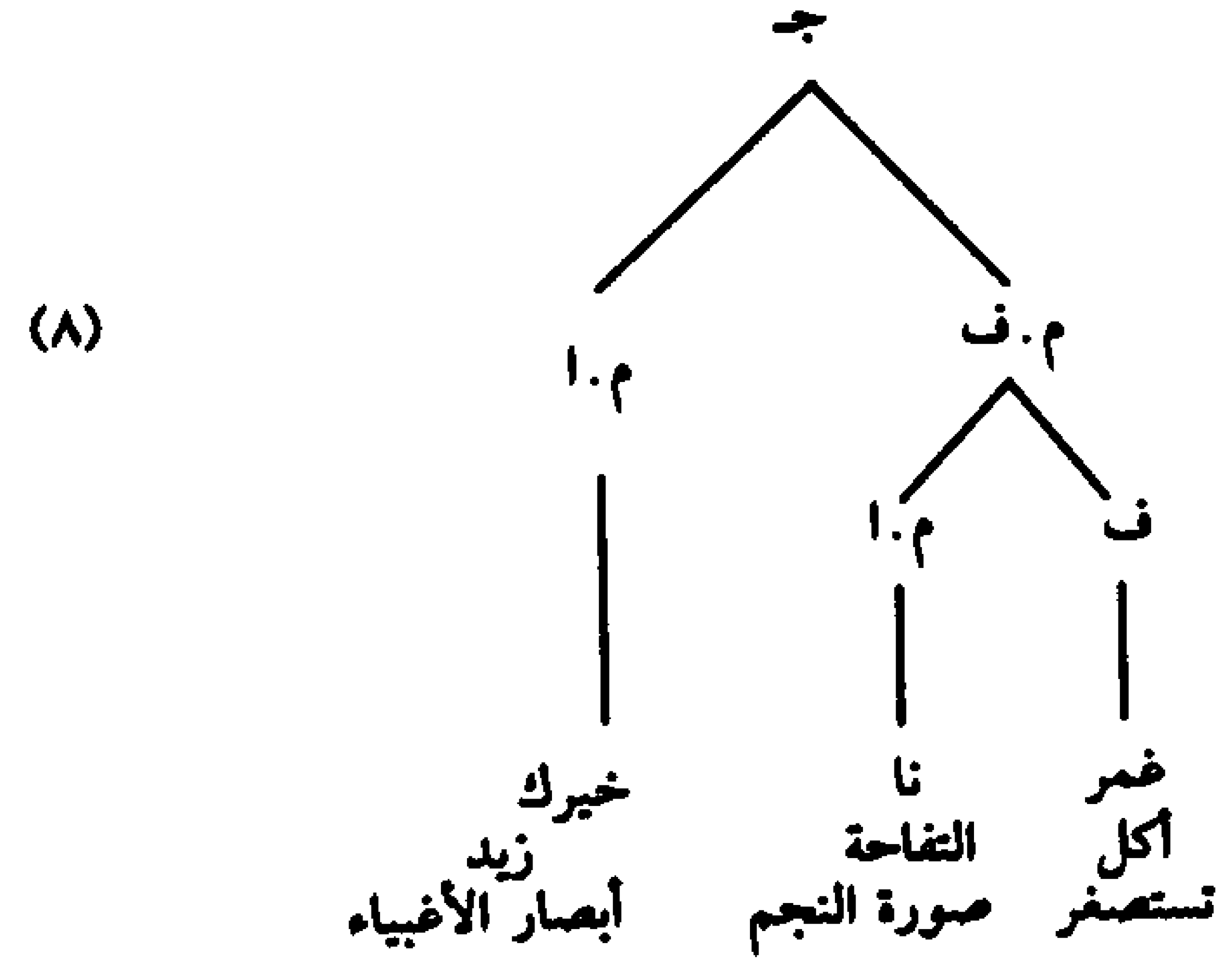
جـ ← م ف + م ا
م ف ← ف (٩)

أي أن الجملة مكونة من فعل ومركب اسمي مثل:

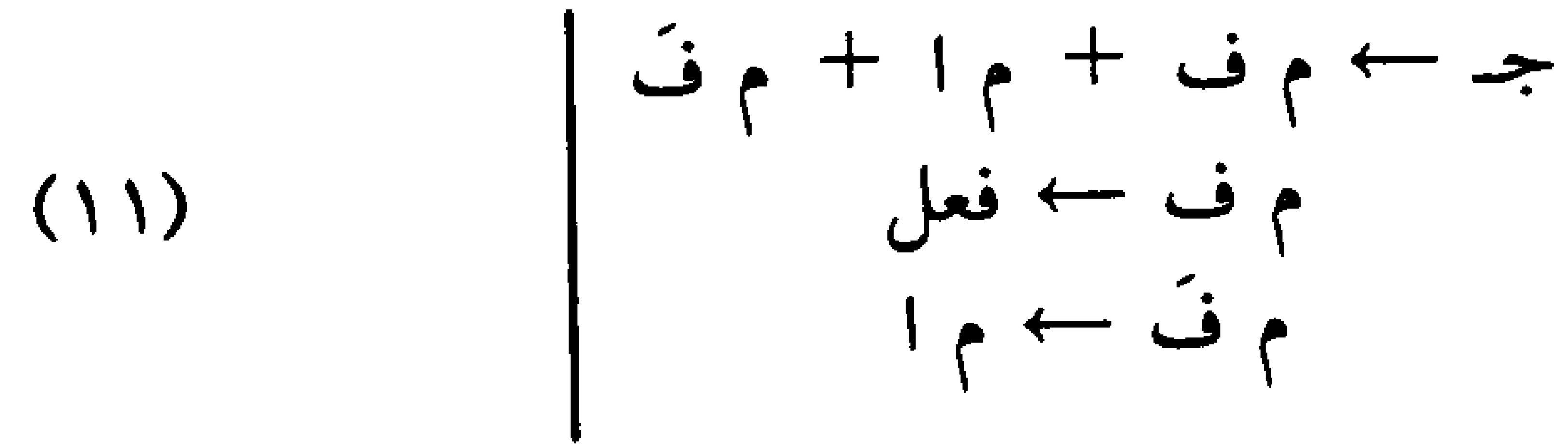
جاء أخوك، نزلت أمطار غزيرة، انقشع سحاب السماء الكثيف.
ومن (٨) نستنتج أيضاً البنية:

جـ ← م ف + م ا
م ف ← ف + م ا (١٠)

أي أن الجملة مكونة من فعل ومفعول وفاعل متأخر وذلك مثل غمرنا خيرك، أكل التفاحة، زيد، تستصغر صورة النجم أبصار الأغبياء
والتمثيل يكون كالآتي:



ومن بين ما ينتج عن (٨) مجموعة القواعد:



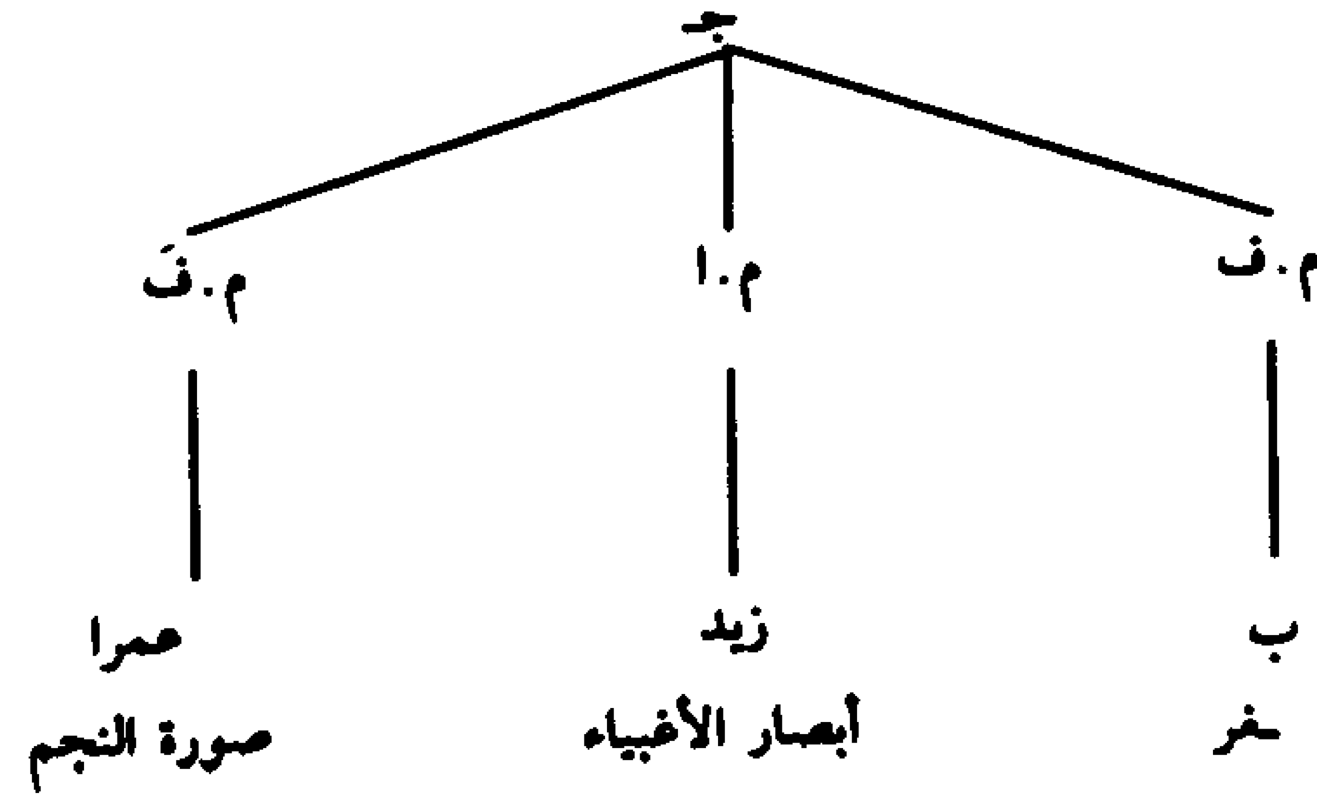
جـ ← م ف + م ا + م فَ
م ف ← فعل
م فَ ← م ا

(١١)

التي تخص الجمل المكونة من فعل وفاعل ومفعول، وذلك مثل:

ضرب زيد عمراً، تستصغر أبصار الأغبياء صورة النجم

ويكون التمثيل كالآتي:



١٠ وظائف المكونات

١ ـ مفهوم الوظيفة

الوظيفة بالمفهوم التقليدي هي الدور الذي يلعبه عنصر من العناصر (فونيم، مرفيم، كلمة، مركب، شبه جملة. . .) في البنية النحوية للنص، ومن بين هذه الوظائف وظيفتا المسند والمسند إليه المحددتان للعلاقات الأساسية في الجملة، ووظيفة المفعول التي هي مكملة لمعاني بعض الوحدات.

أما في النحو التحويلي فإن الوظيفة هي العلاقة التي تربط بين مكونات بنية معينة. ففي الجملة التي تكتب على الشكل:

ج ← مركب اسمي + مركب فعلي (أو: ج ← م.ا + م.ف)

يكون المركب الاسمي (م.ا) هو المسند إليه والمركب الفعلي (م.ف) هو المسند، بينما في المركب م ف الذي يحلل كالآتي:

مركب فعلي ← فعل + مركب اسمي (أو: م ف ← ف + م ا)

فإن المركب الاسمي (م ا) هو المفعول داخل هذه البنية.

ففي الجملة: (أكل التفاحة زيد) تكون القواعد باختصار شديد كالآتي:

ج ← م ف + م ا

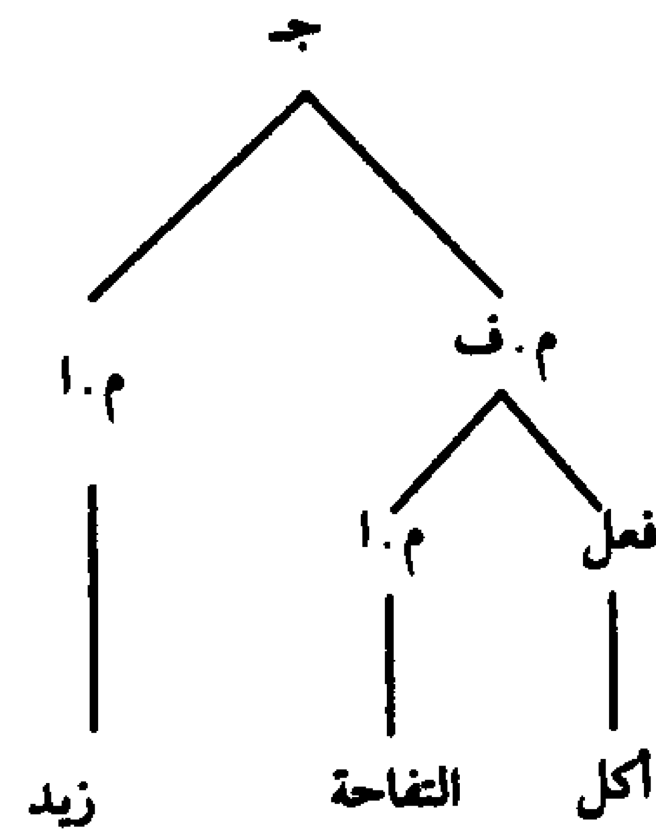
م ف ← فعل + م ا

فعل ← أكل

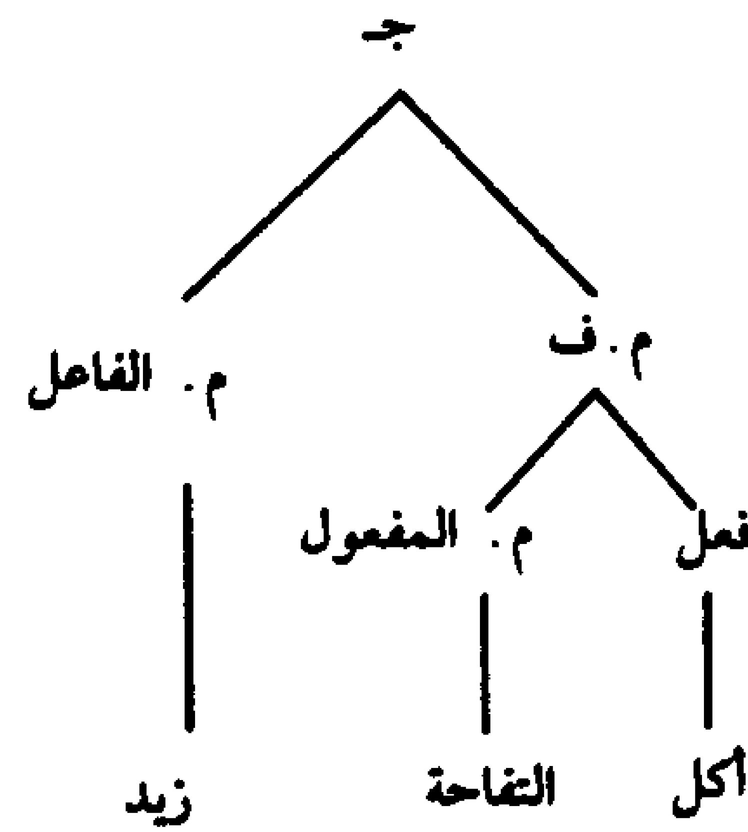
م ا ← زيد

م ا ← التفاحة

والتحليل يكون كما يلي:



المركب الاسمي الذي هو داخل في المركب الفعلي هو المفعول به، أما المركب الاسمي الذي يدخل في بنية الجملة مع المركب الفعلي فهو الفاعل، بحيث أن المخطط يمكنه أن يكتب على الشكل:



٢ ـ الفاعل والمبتدأ في العربية

إن المسند إليه كما حدده النحويون العرب ينقسم إلى فاعل ومبتدإ، وقد عرف كل واحد منها بواسطة تعاريف غير مقنعة أحياناً فقيل:

الفاعل هو الاسم المرفوع الذي يقوم بالفعل.

المبتدأ هو الاسم الذي يبتدىء به الكلام إلخ...

وهذا ليس دوماً صحيحاً فالفاعل قد لا يكون هو الفاعل الدلالي أي الذي يقوم بالفعل حقيقة، كما أن المبتدأ قد يكون مؤخراً إلخ...

وكل تعريف لأحد الصنفين يلزم أن ينطلق:

أ ـ من كون كل من المبتدإ والفاعل مسنداً إليه.

ب ـ من طبيعة المسند: هل هو فعل أم لا.

جـ ـ من موقع المسند إليه بالنسبة للفعل.

انطلاقاً من (أ) و(ب) يمكننا أن نعطي التعريف الآتي:

الفاعل هو الاسم الذي أسند إليه فعلٌ (١)

المبتدأ هو الاسم الذي أسند إليه غير الفعل (٢)

ولكن في جملة مثل: (زيد خرج) يحلل الاسم، انطلاقاً من التعريف (١)، على أنه: فاعل، ويخالف هذا التحليل نظرة النحويين العرب. ويلزمنا إذن أن نضيف شيئاً في التعريف لمسايرة هذه النظرة، ويكون ذلك بإدخال العنصر (جـ) أي بمراعاة موقع المسند إليه من الفعل، فنقول مثلاً:

١ ـ الفاعل هو الاسم الذي أسند إليه فعل سابق له، ولكل فعل فاعل، ظاهر أو مستتر.

٢ ـ المبتدأ هو الاسم الذي أسند إليه غير الفعل، وقد تسند إليه جملة فعلية.

نتيجة لهذا التعريف فإن الجملة (زيد خرج) تحلل كالآتي:

جـ

جـ

م.ا | م.ف | م.ا

زيد / زيد / الأولاد

خرج / خرج / خرجـ

(هو) / أبوه / ـوا

وللتبسيط فإنه بإمكاننا أن نضع بجنب رؤوس المخطط الوظائف ونرمز إليها بما يلي:

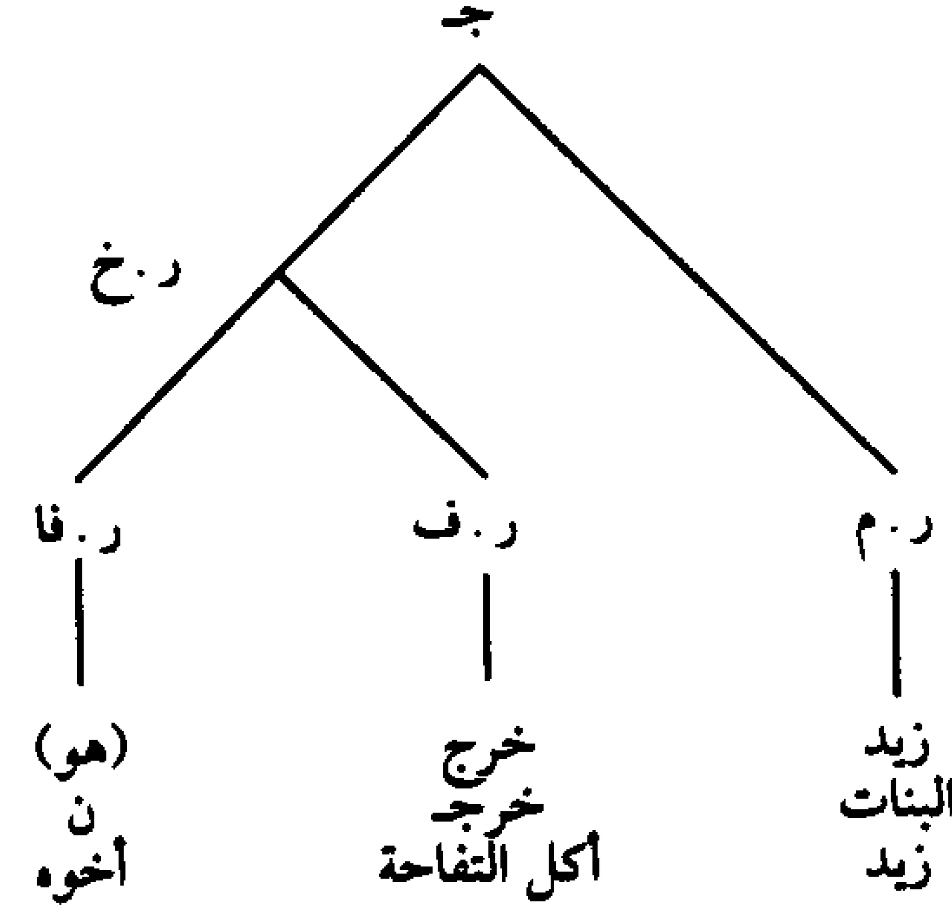
ر.م: أو ركن المبتدإ وهو المركب الاسمي الذي يحتوي المبتدأ.

ر. خ: أو ركن الخبر وهو المركب الذي يحتوي الخبر.

ر.فا: أو ركن الفاعل وهو المركب الاسمي الذي يحتوي الفاعل

ر.ف: أو ركن الفعل وهو مركب الفعل.

وبهذا تمثل جملتنا وما يشابهها كما يلي:



٣ ـ المفعول

وظيفة المفعول أو المكمل (complément) كما يسميه الغربيون، هي مجموعة من الوظائف يؤديها داخل الجملة مركب اسمي أو ما يعوضه.

وحسب طبيعة العلاقة التي ينتمي إليها المكمل فإنه بالإمكان تصنيفه إلى:

ـ مكمل علاقة مثل: (بناء المنزل). فالمنزل هو مفعول البناء وقد جاء ليكمل علاقة أحد طرفيها: (بناء).

ـ مكمل تخصيص مثل (سيارة سمير)، (فسمير) خصص هذه السيارة التي كانت مبهمة قارن بين (ركب سيارة، ركبت سيارة سمير).

ـ مفعول به مباشر: (ضرب زيد عمراً).

ـ مفعول به غير مباشر، ويكون تابعاً للفعل المتعدي بواسطة الحرف.

ـ ظرف زمان أو مكان.

والنحويون العرب عرفوا المفعول بأنه كل ما كان معمولاً للفعل من جهة وقوعه عليه، أو فيه، أو له، أو معه، أو كان مؤكداً له أو مبيناً لنوعه أو عدده.

١ ـ فالمفعول به هو أحد معمولات الفعل ومكملاته وقد عرف تقليدياً بأنه «ما يقع عليه فعل الفاعل» مثل (زهرة) في: (قطفت زهرة).

٢ ـ والمفعول فيه هو الظرف وقد يكون ظرف زمان (ساعة، يوم الجمعة) أو ظرف مكان (أمام).

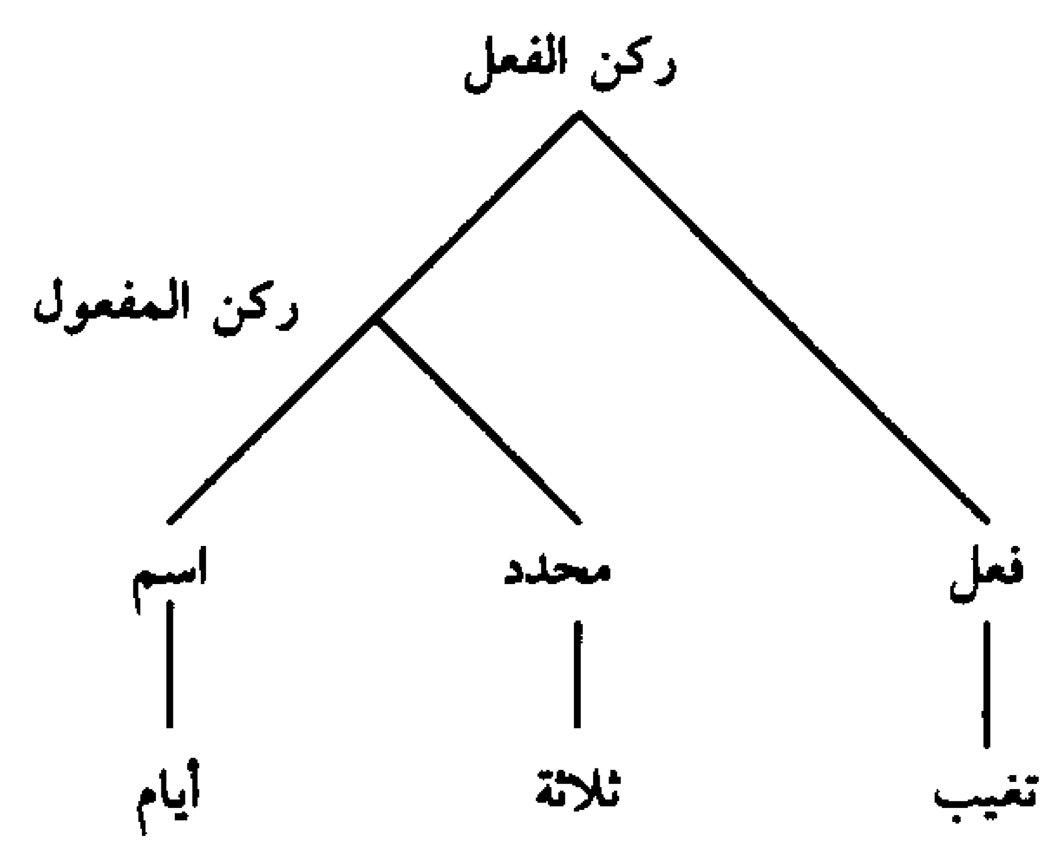
٣ ـ والمفعول له هو المفعول لأجله مثل (قمنا احتراماً للأستاذ).

٤ ـ والمفعول معه هو الاسم الواقع بعد واو المعية (سرت والنيل).

٥ ـ والمفعول المطلق هو المصدر المؤكد للفعل، أو المبين لنوعه أو عدده مثل: (صعدت صعوداً، سرت سيراً حثيثاً. صفعه صفعتين)

والمفعول مهما كان نوعه يدخل في المركب الفعلي، وقد يكون مركباً اسمياً أو مركباً حرفياً إذا كان يتصدره حرف.

ويمكن تقسيم ركن الفعل إلى: (فعل + ركن المفعول)، فيكون، بناء على هذا، تحليل المركب: «تغيّب ثلاثة أيام» كالآتي:


ركن الفعل
ركن المفعول
فعل
محدد
اسم
تغيب
ثلاثة
أيام

١١ الجمل الأساسية في العربية وتحليلها

١ ـ لا نطمح في هذا الباب إلى حل قضايا تحليل الجملة العربية على المستوى النظري، وإنما نبحث فقط عن حل يكون مقبولاً تربوياً، ولذا فإننا نحافظ على مبادىء النحو العربي الخاصة:

- برتبة الوحدات.

- بالتمييز بين المبتدإ والفاعل من جهة، وبين الجملة الاسمية والجملة الفعلية من جهة أخرى.

- باعتبار الضمير المتصل فاعلاً في كل الحالات حتى وإن كان مستتراً.

ولقد رأينا أيضاً أنه من الأحسن أن نسمي المكونات بوظائفها فبدلاً من: (المركب الاسمي) استعملنا مصطلح: (ركن المبتدإ) أو (ركن الفاعل) أو (ركن المفعول) وهذا الاستعمال قابل لتأويلين:

- تأويل تقليدي يرى في (ركن المبتدإ) مثلاً: المركب الذي يحتوي على المبتدإ ففي: (ريح الجنوب تهب)، المبتدأ هو (ريح) وركنه هو (ريح الجنوب).

- تأويل حديث يرى أن (ركن المبتدإ) هو المركب الذي وظيفته مبتدأ، ويكون المبتدأ في الجملة السابقة هو (ريح الجنوب).

ومن البديهي أن التأويل الأول أكثر قابلية للتطبيق على مستوى النحو المدرسي.

٢ ـ الجملة الاسمية

هذه الجملة تتكون من مبتدإ وخبر:

ـ المبتدأ هو مركب اسمي عموماً مثل:

ذلك التلميذ الجالس في آخر الصف ذكي

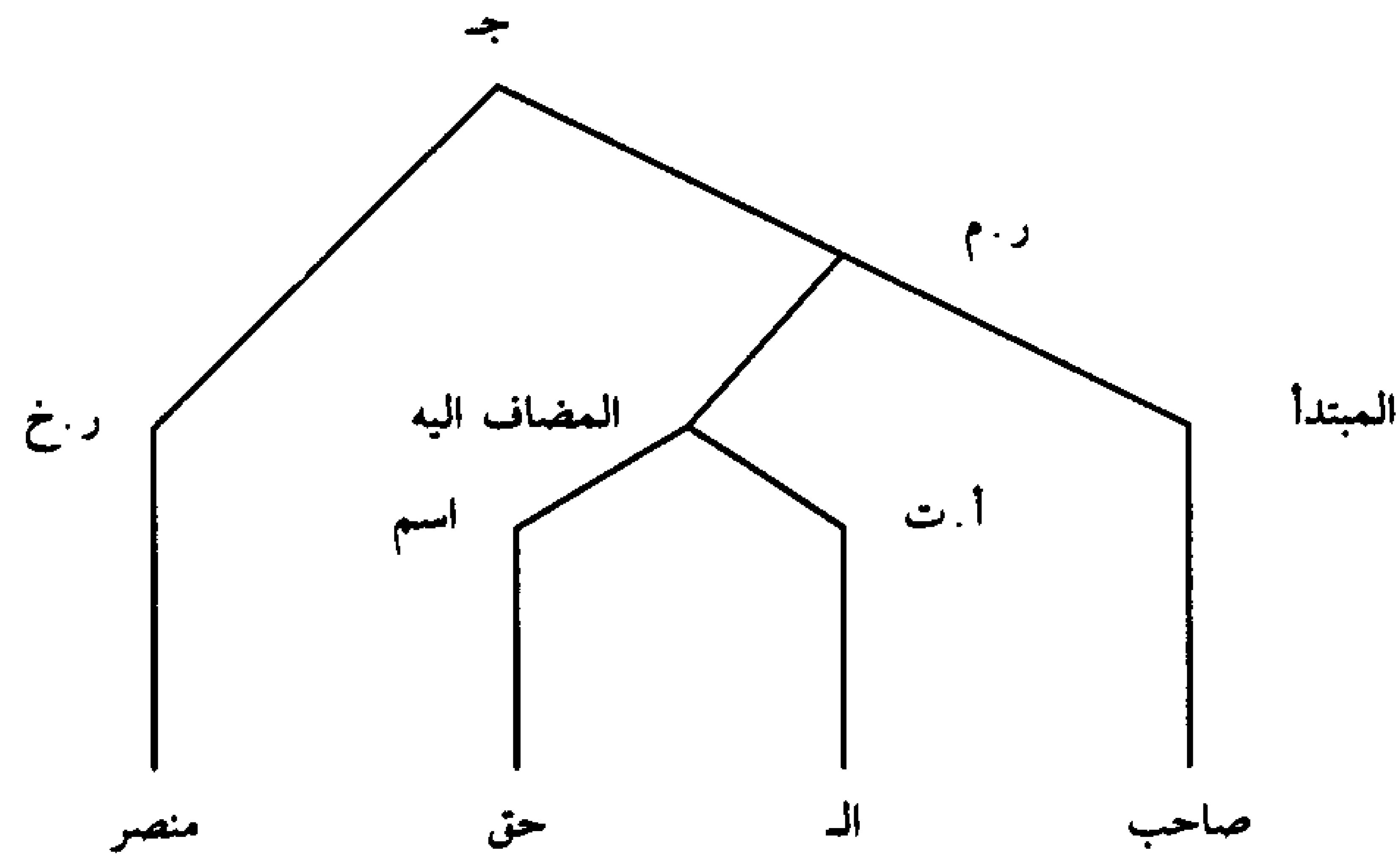
ـ الخبر قد يكون على ثلاثة أنواع فهو:

ـ إما مركب اسمي مثل: زيد **طيب القلب**

ـ إما جملة فعلية: زيد **قام أبوه**

ـ إما جملة اسمية: زيد **أبوه قائم**

أ ــ إليك تحليل جملة خبرها بسيط: (صاحب الحق منتصر) وقد راعينا فيها الإعراب التقليدي:



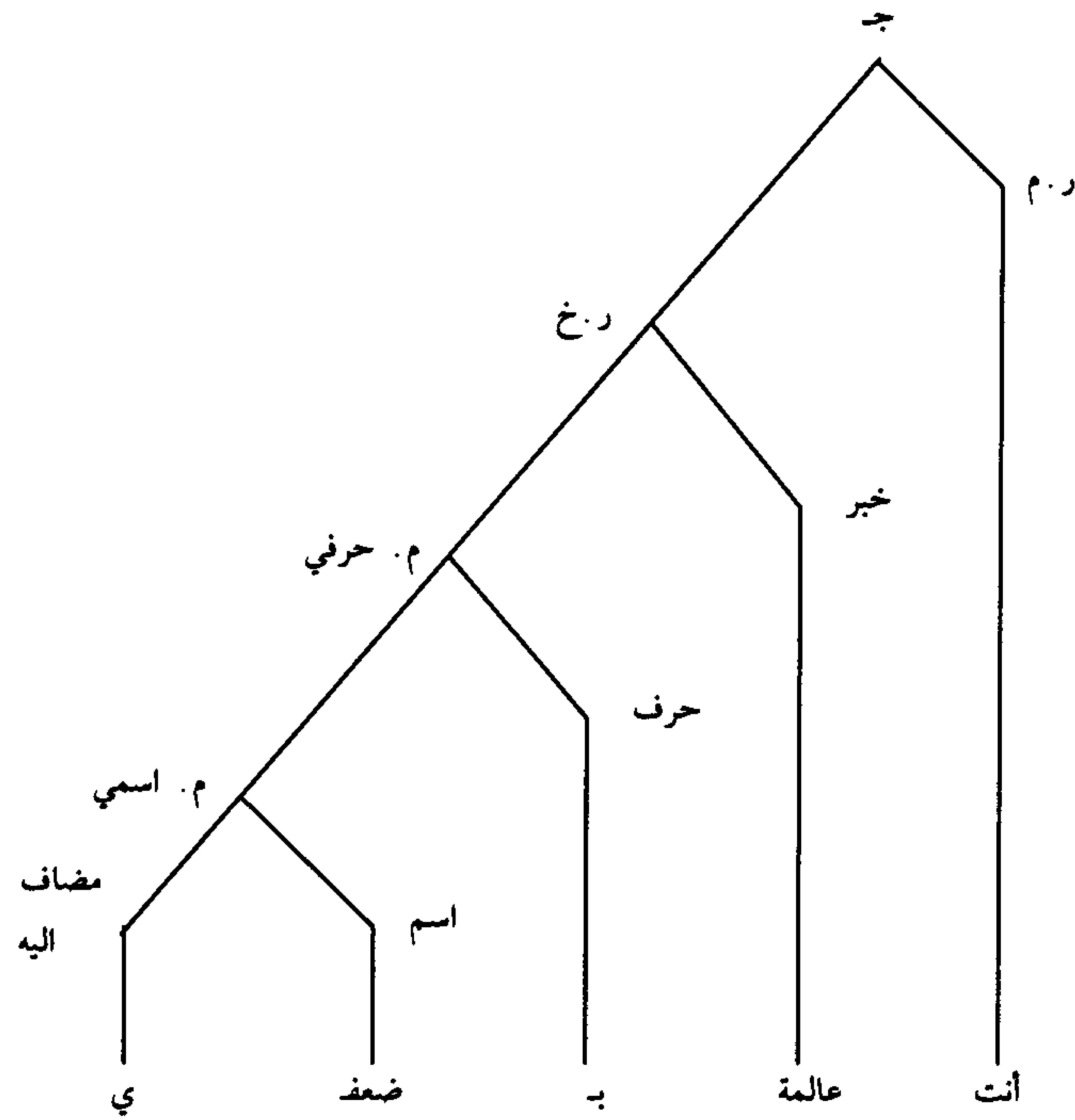
جـ يمثل الجملة، ر.م: ركن المبتدإ، ر.خ: ركن الخبر، أ.ت: أداة التعريف، قد نستعمل المصطلحين الركن أو المركب وهما مترادفان ويترجمان بـ:

(syntagme أو groupe أو constituant).

ب ـ وقد يكون الخبر بسيطاً ولكنه يحتوي على مكمل يلعب دور المفعول وذلك مثل:

حتّام تشتكين يا نفسي وأنت عالمة بضعفي؟ (جبران)

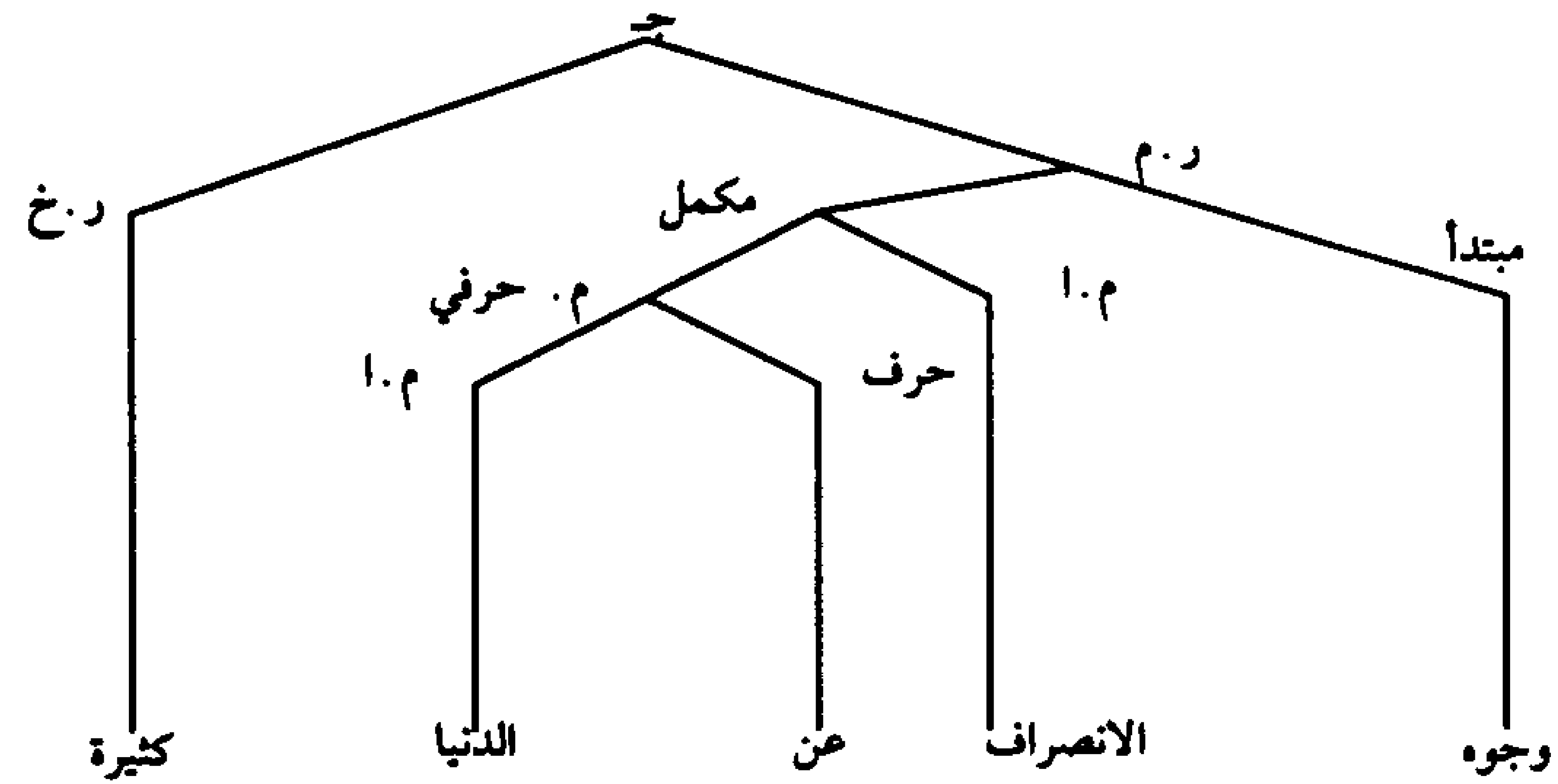
فالتحليل الآتي للجملة: (أنت عالمة بضعفي):



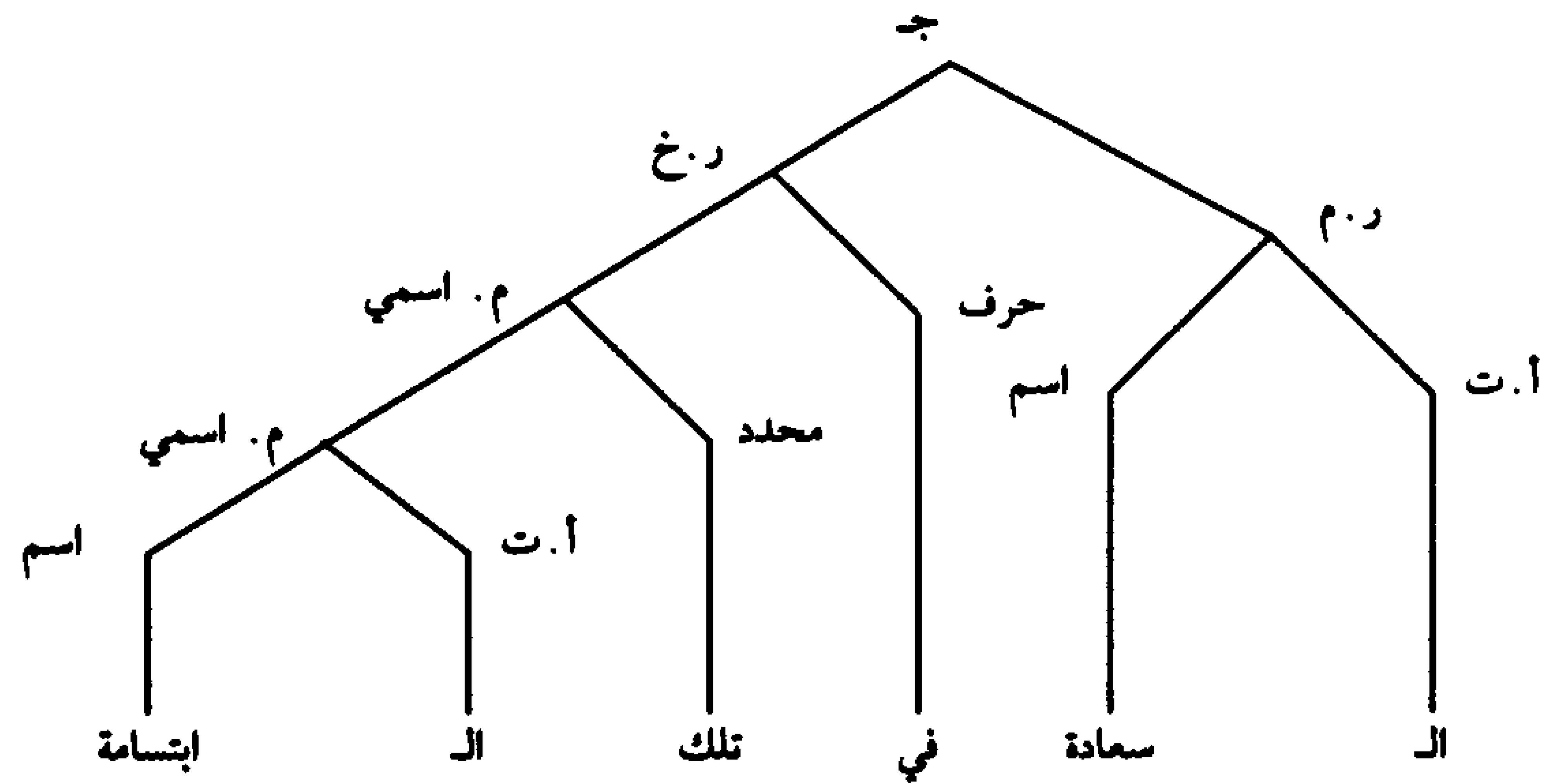
يرينا أن المركب (عالمة بضعفي) شبيه بالمركب (تعلمين بضعفي) الذي هو جملة فعلية. مما يبين لنا أن بساطة الخبر ظاهرة فقط.

جـ ـ وقد يكون المبتدأ في وضع شبيه عندما تكثر مكملاته، وذلك مثل: وجوه الانصراف عن الدنيا كثيرة

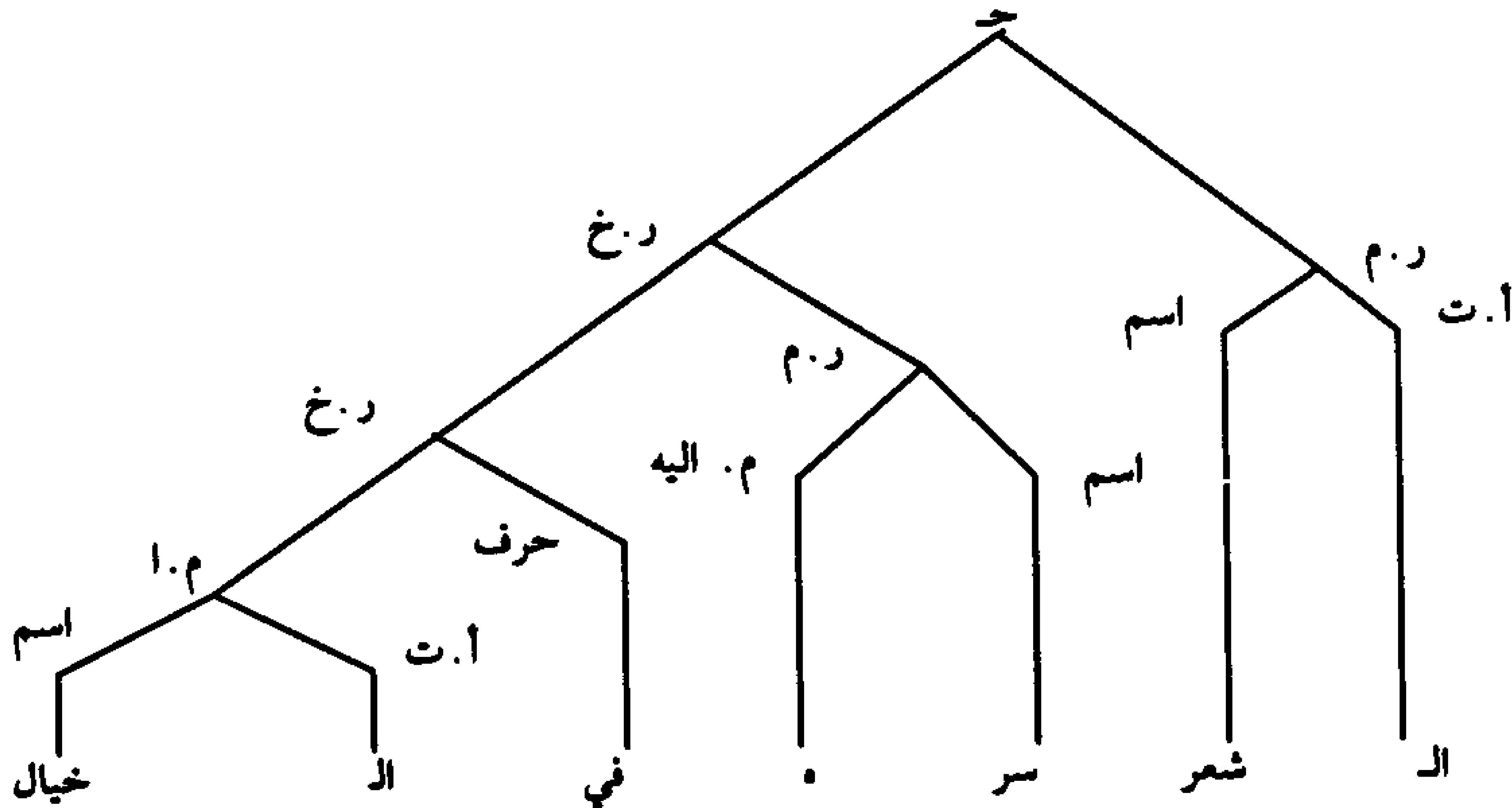
التي تحلل كالآتي:



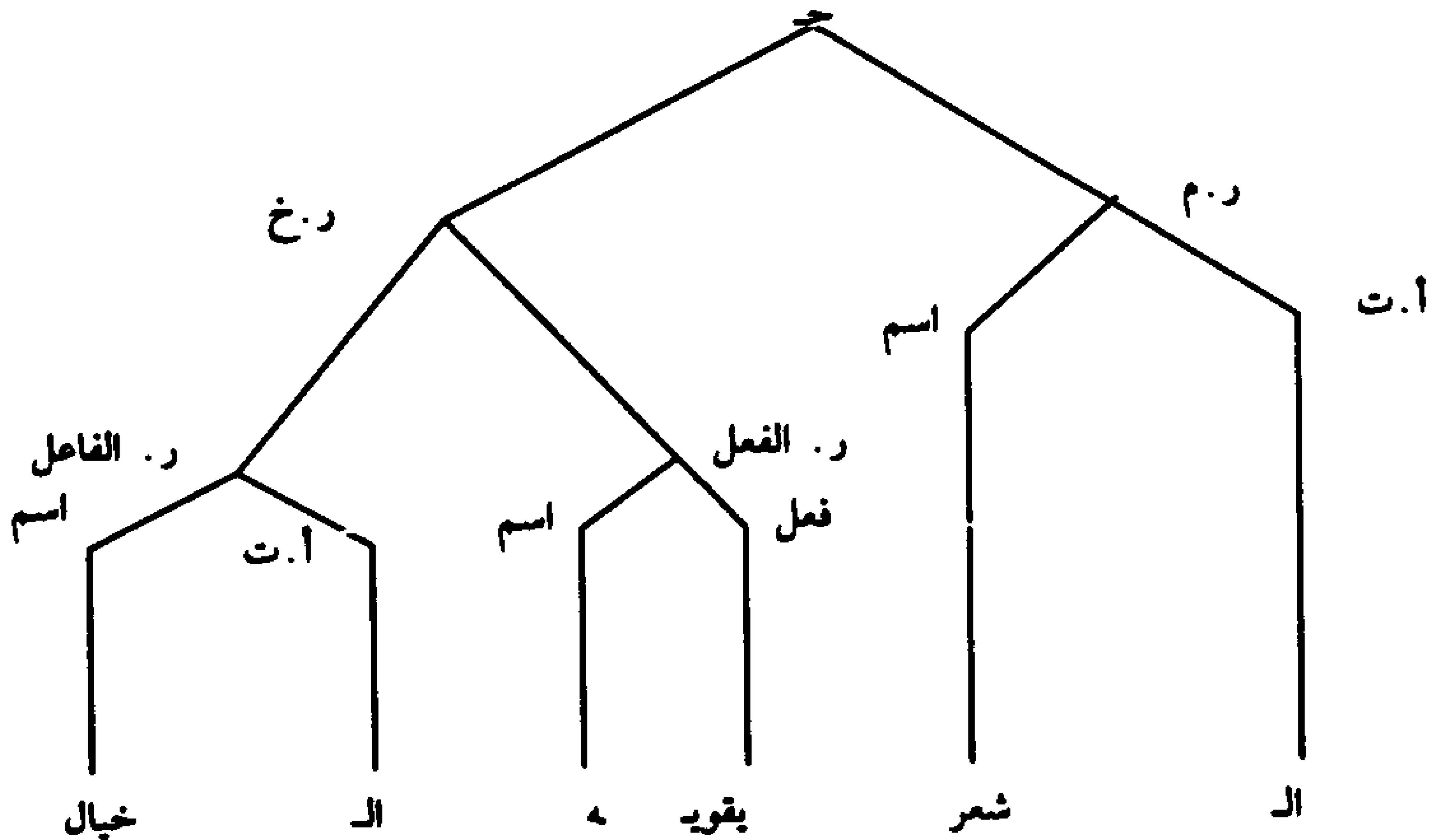
د ـ أما الجملة التي خبرها شبه جملة مثل: (السعادة في تلك الابتسامة) فهي تحلل كما يلي:



هـ ـ وعندما يكون الخبر جملة اسمية مثل: (الشعر سره في الخيال)، فالتحليل يأخذ الشكل الآتي:



و ـ ويكون الخبر جملة فعلية مثل (الشعر يقويه الخيال) وفي هذه الحالة يأخذ التحليل الشكل الآتي:



٣ ـ الجملة الفعلية

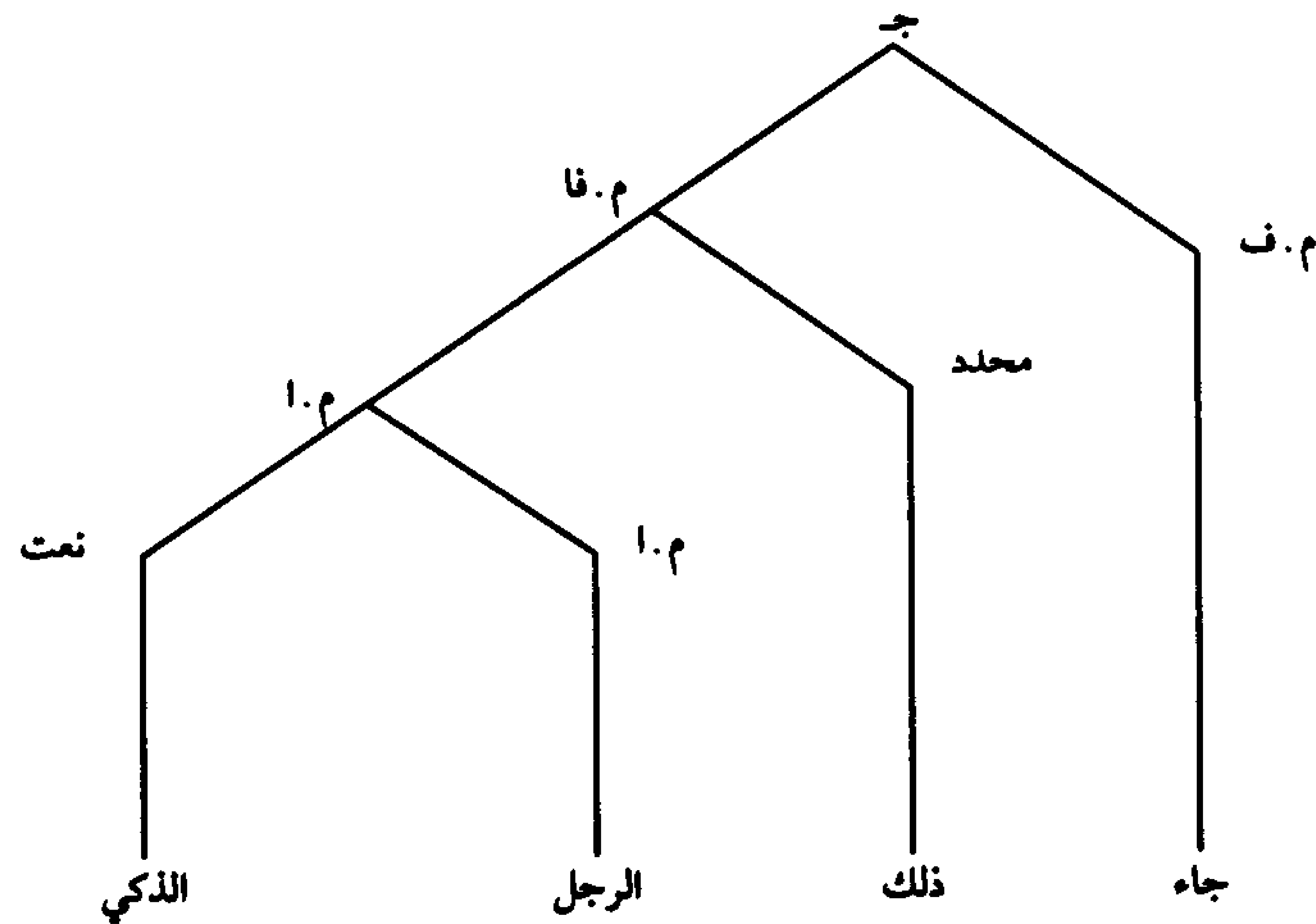
الجملة الفعلية يتصدرها عموماً الفعل وهو عمدة المركب الفعلي، وتحتوي على مركب اسمي يأتي بعد الفعل، وهو الفاعل. أما المركبات الاسمية الأخرى التي ترد في الجملة الفعلية فهي مكملات الفعل أو الاسم أو الجملة.

أ ــ أبسط الجمل الفعلية هي المكونة من فعل لازم وفاعل، وهي خاضعة للبنية المتمثلة في:

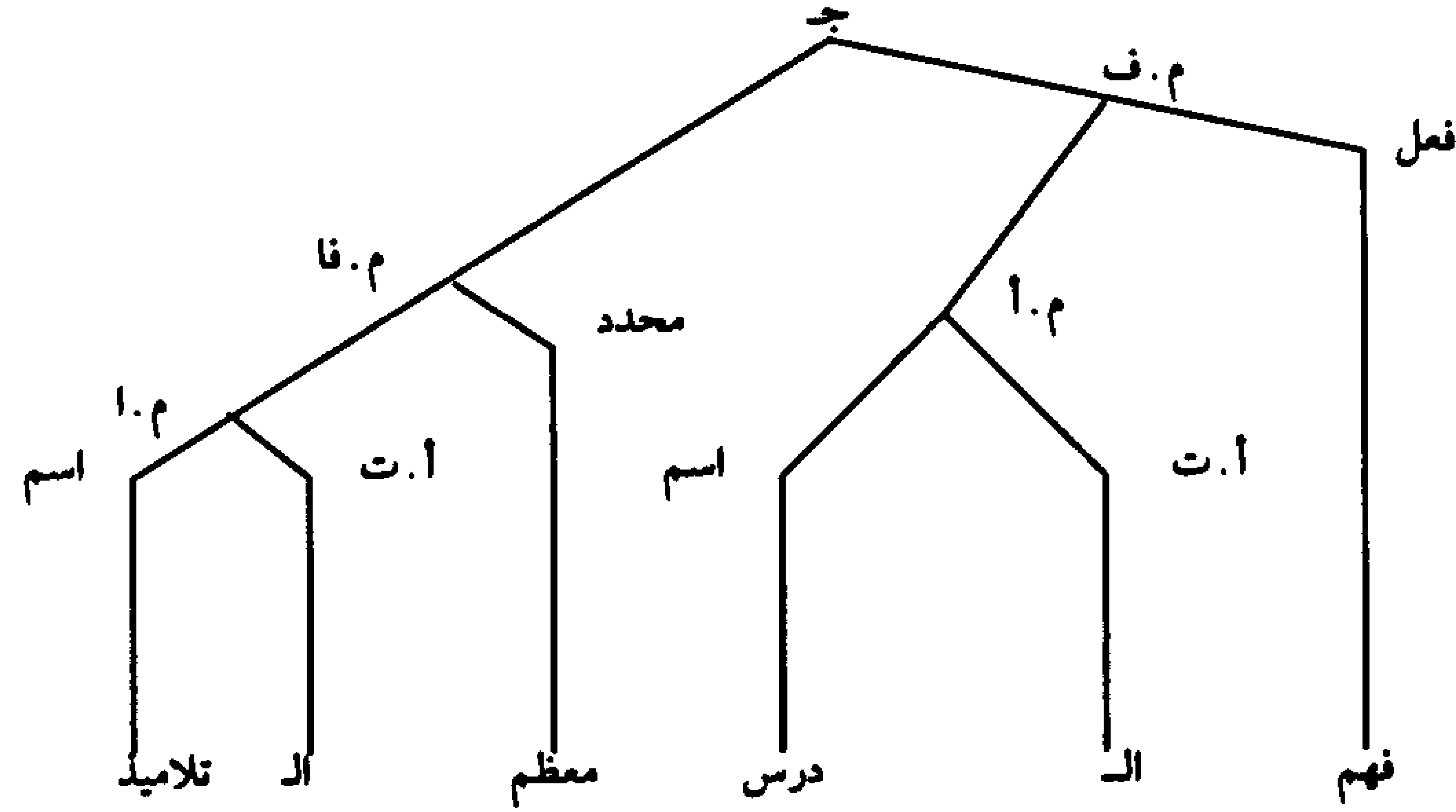
ج ← مركب الفعل + مركب الفاعل (أو ج ← م.ف + م.فا)

مركب الفعل ← فعل

وذلك مثل: **(جاء ذلك الرجل الذكي)**

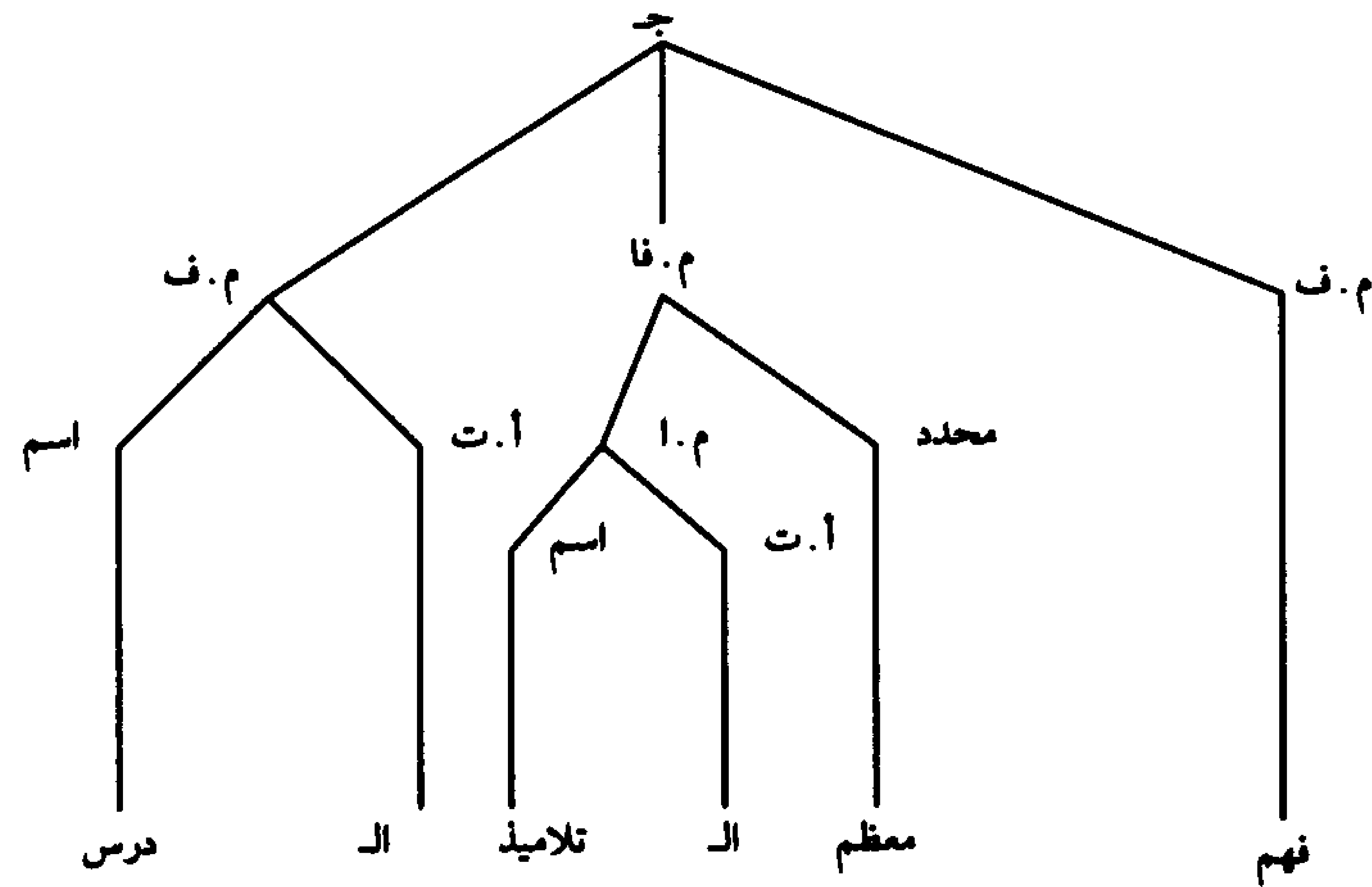


ب ـــ ويكون الفعل متعدياً والمفعول به مقدماً على الفاعل مثل:
(**فهم الدرس معظم التلاميذ**) فيجيء التحليل على الشكل الآتي:



جـ ـــ وقد يفصل الفاعل المركب الفعلي إلى شطرين: م.ف وم.ف

وذلك مثل: (**فهم معظم التلاميذ الدرس**) فيكون التحليل كما يلي:



٤ ـ التحليل التركيبي وأهميته التربوية

إن التحليل إلى مركبات مباشرة يقتصر عموماً على جمل ذات تركيب معين، وهو عاجز عن تحليل كل جمل العربية، ولكن فائدته على المستوى التربوي كبيرة وذلك لأنه:

١ ـ يبرز الهيكل العام للجملة بخلاف الإعراب التقليدي الملتصق بالمفردات

٢ ـ يبين علاقة ترابط الوحدات ببعضها، فمثلاً لا تظهر لنا علاقة المفعول بالفعل إلا بعد وضعهما في مركب واحد. كما أن كل ما يخص الاسم من محددات ومكملات لا يتجلى إلا عند تجميعه في المركب الاسمي.

٣ ـ وظائف الوحدات تتبلور أكثر عندما تكون مسندة إلى المركب فقولك: (جاء كل الرجال) تكون الفاعلية فيه موكلة إلى الركن الاسمي (كل الرجال)، وهو أقرب إلى الذهن من قولنا إن (كل) هو الفاعل.

المحتويات